رسالة إلى لأخ العزيز بلال

تأليف :

موسى الموسى

رسالة شخصية و سيرة ذاتية

مقدمة : رسالة إلى لأخ العزيز بلال النجار :

أخي العزيز بلال ، أحببت أن أقدم لك هذه الرسالة و فيها خلاصة رحلتي الفكرية من لإسلام إلى لإلحاد إلى المسيحية إلى اللاأدرية إلى لإلحاد إلى الكثير و الكثير من التيارات الفكرية المتلاطمة ، دخلت غابة لم أكن أتوقع أنها كبيرة و شائكة لهذه الدرجة ، إنها تجربة استنزفت من حياتي عشر سنين ، و قد رأيت منك سيدي الكريم علماً واسعاً و عقلاً غزيراً و أدباً كثيراً ، و رأيت منك اهتماماً في مقالاتي و منشوراتي ، فأحببت أن أؤلف هذه الرسالة التي أسرد لك تجربتي العقيدية و ما النتيجة التي وصلت إليها ، و أتمنى أن تنال استحسانكم و إعجابكم سيدي الكريم و سيكون لي الفخر أنك أول من تقرأها .

هي تجربة عشر سنين وضعتها بإيجاز وضعتها بشكل سيرة ذاتية لأنني لا أرى فائدة من مناقشة أفكار مجردة معلقة في الهواء دون أن أسرد لك الحالة النفسية للمفكر و الظروف الحياتية التي مر بها و التي أدت إلى هذه الفكرة ، من أجل هذا وضعت لك تاريخ تطور أفكاري على شكل سيرة ذاتية موجزة ، و لي ثقة في حكمك عليها ،كما لي ثقة في نظرتك الموضوعية حول هذه المسألة ، فأخي العزيز بلال ، صاحب لأدب الرفيع و لأخلاق الكريمة ، الذي اعتدت على أن أرى تعليقاته الجميلة و المفيدة ، أقدم لك قصة حياتي الفكرية هي لآن بين يديك ، اقرأها و أخبرني ، فأنا بانتظار أن ترد لي خبراً و تبعث لي بنقداً و تعطيني جواباً .

أخوك و تلميذك و صديقك و من يتمنى لك الخير و السعادة

موسى الموسى أبو عمران الحمر

ريف دمشق ١٦ فبراير ٢٠٢٦

هل أنا ملحد أو مؤمن ؟!!! .

عنوان مناسب و مثير و جذاب أختاره لرسالتي هذه

فاسمع هذه القصة لعل بها فائدة ما (إذا كان إلك خلق يعني !!)

بدأت القصة عندما كنت في الصف السابع و تركنا المنزل الذي كنا قد استأجرناه في ركن الدين ، لننتقل إلى شقة على العظم في مشروع دمر ، فتركت المدرسة ، فجأة و بلا سبب ، لست أعلم لماذا رفضت لالتحاق بأي مدرسة عامة في المنطقة (ربما لأنني خفت أن يعتدي علي أحد لأولاد أو يتكاثروا عليّ و ربما لسبب آخر لست أذكره) و أصررت على والدي أن يسجلني بأحد المدارس الشرعية و ذلك لسببين ، بسبب حبي الشديد للعلوم الشرعية آنذاك من تفسير و فقه و تجويد و ـ ـ ـ إلخ و بسبب تعلقي الشديد بالدين في ذلك الوقت .

ذهبنا إلى معهد " الملك العادل " في مشروع دمر ، و لكن تم رفضي بامتياز ((بسبب معدلي المنخفض آنذاك في الصف السادس ١٣٤/ ٢٠٠)) و عندها يأست يأساً شديداً و حزنت لذلك حزناً عميقاً ، بأنني لن أتعلم العلوم الشرعية ، كنت أنذاك أظن أنني شخص متدين و كنت أشعر أنّ الله يحبني ، و كنت أظن (على براءة الطفولة) أنّ نبي الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم يحبني و يقيم لي شأناً خاصاً ، كان نوع من النرجسية أو تغطية عن شعور بالنقص لست أدري ، و الذي أثبت لي نظريتي عندما كنت طفلاً أنني رأيت محمد نبي لإسلام عدداً من المرات (في المنام طبعاً) ليس بالقليل ، فجعلني هذا أشعر بالفخر بنفسي آنذاك ، رأيت عدداً من أنبياء القرآن موسى و عيسى و يوسف و إبراهيم ؛ و ذلك زادني نرجسية و حماقة ، و بالطرف المقابل زادني تعلقاً بالله و

بمحمد ص أكثر فأكثر ، فلم أترك فرضاً و لا سنة إلا و مارستها ، حتى كنت أمرن نفسي على السهر أكثر من أجل العبادة .

على أي حال ، فعلى عدد من المعاهد الشرعية و المدارس الشرعية التي طردت منها ، تكلم أبي مع خاله (أبو اليمان) و كان آنذاك مدير إدارة الهجرة و الجوازات و لواء في الداخلية ، حتى يبحث لي عن معهد شرعي أدرس به ، و إذ خال أبي بكل كرم و لطافة يتحدث مع شيخ مدير معهد من معارفه و ابن منطقته هو الشيخ أسامة الضبع (و أدين لهذا الرجل كثيراً و له الكثير من لأفضال عليّ التي لن أنكرها ما دمت حياً فلولاه لم أكن أستطع أن أكمل دراستي !!) ، و طلب خال أبي منا الذهاب إلى المزة حيث كان معهد لإحسان يقيم بنفس المكان بجوار معهد الفرقان (معهدان بنفس المكان لكن لكل منهما مذهب مختلف و إدارة مختلفة و أساتذة مختلفين ، و لا أذكر أنّ هناك أستاذاً مشتركاً سوى أستاذ الاجتماعيات حسن حجازي و قد كان صديقاً و أباً لي هذا لأخير أكثر من كونه أستاذاً) .

بعدما دخلنا إلى إدارة المعهد ، رأيت شيخاً وسيماً ، يرتدي مخروطاً أبيضاً و غلّابية رمادية جميلة مفتوحة من منتصفها ، و أنا حينها لم أكن قد رأيت لباس لأحناف سابقاً ، فقد اعتدت على الغلّابية البيضاء العادية التي نراها كثيراً في المساجد عادة ، و قد أمسك شهادة السادس خاصتي و قال معدله بسيط و قد لا يحتمل دراسة المواد الشرعية الكثيرة ، و على ما أذكر قال أبي له " لا أريد له النجاح و التفوق و التعلم بقدر ما أريد له التأدب بآداب لإسلام و التربية الصالحة و القرب إلى الله ، فلو سمعت أنّ القمامة تقرب إلى الله لوضعت أبني في عمل القمامة !! " فقال الشيخ أسامة

، نقبله لا مشكلة (ظننت آنذاك أنّ الشيخ قبلنا واسطة و لكن الذي تأكدت منه فيما بعد ، هو كان يقبل الكثير من الطلاب أمثالي من أجل أن يكثر المتعلمين العلوم الشرعية و يساهم في نشر العلم الشرعي و الثقافة لإسلامية في الجيل الصاعد) .

اقترح على أبي الشيخ أسامة أن أقيم في المبيت فرفضت رفضاً تاماً بنبرة رعب و قلق ، فقال الشيخ " إذا كان الولد متعلق بأهله فلا مشكلة " و كانت هذه نباهة عجيبة و ذكاء منه , حقاً لقد كنت متعلّقاً بأهلي و إخوتي بشكل جنوني حينها .

بدأت التعلم و كنت في المستوى الضعيف حينها ، رسبت بأكثر من 9 مواد على ما أذكر في المذاكرات (كان عدد المواد يفوق ال ٢٢ على ما أذكر) و كان في المعهد شيوخ لطفاء و أساتذة " حبابين " للغاية ، أذكر منهم استاذنا الفقه منير ابراهيم ، الذي كنا نكن له جميعاً الشعور بالود لأبوي ، و أذكر منهم لأستاذ أمير الحارث الذي كان أخاً كبيراً و موجهاً لنا ، و أستاذ الأدب العربي (الذي لا أذكر اسمه فقد كان نفسه أستاذ المصطلح فيما بعد) الذي كان بليغاً و أديباً عظيماً ، و كل الذي أذكره عنه أنه يريد التقدم إلى الماجستير لكنه كان يرسب دوماً في امتحان اللغة قيد الماجستير و أنه كان يحب برامج الحيوانات ، و أذكر موجهاً لطيفاً اسمه معاذ هيكل ، و كنت أتحسس شعور الشفقة من هذا الموجه و كان دائماً يمد يد العون و المحبة إلي و أذكر أيضاً موجهاً آخراً كان معه اسمه مازن عباس ، كان يحب لإنشاد و يعطف على كل الطلاب كما كان طيب القلب و بسيط إلى حد رهيب ، و بالطبع لست أنسى أستاذ المعلوماتية و القرآن لأستاذ ابراهيم الكردي و الذي بحق

يجب أن يعد أفضل أستاذ و موجه و أخ رأيته في حياتي ، فقد فاقت طيبة قلبه و لطافته حداً غير معقول .

و أكثر ما لفت نظري دون شك هو أستاذ الفيزياء الذي غيّر حياتي بالطبع ، هو لأستاذ محمد سكر ، فقد كان استثنائياً و مثالياً في كل شئ تقريباً ، كما أنه كان متحمس لفكرة صناعة جيل مسلم يحمل راية العلم و الأخلاق لينير بها العالم و يعيد مجد و حضارة الإسلام مرة أخرى ، كانت طريقة إعطاءه جديدة بالنسبة لي ، فمن مجهر إلى جثة ضفدع مشرحة إلى برامج علمية نشاهدها كنشاطات إلى مخابر ننزل أليها ، هذا ب لإضافة إلى المعلومات الخارجية الكثيرة التي كان يعطينا إياها سواء فيما يخص الفيزياء أو علم لأحياء أو حتى الإعجاز العلمي .

المهم فيما بعد ، أثبت نفسي و نجحت في كل المواد ، و صرت في الصف الثامن ، و إذ أتعلق بالمواد العلمية (الفيزياء و الكيمياء و الرياضيات) أكثر و كان ذلك بسبب برنامج لستيفن هوكينغ كان يُعرض على قناة ناشونال ، و برنامج آخر لتايسون عن علم الفلك ، و برامج لبريان غرين جعلني أتعلق في الفيزياء و العلوم أكثر ، و أذكر مرة أخي الكبير (أحمد) حدثني عن تشكل لأرض فعلقت نفسي بالعلوم أكثر فأكثر لأنّ منطقية الكلام و أهميته جعلني أتعلق بفكرة العلم الطبيعي أكثر .

ذهبت و على مضض و خوف إلى لأستاذ محمد سكر , لأحدثه عن ماذا شاهدت على التلفزيون فيما يخص الفيزياء (و لا يصدق أحد كيف كانت العلاقة بينه و بين الطلاب أبوية و جميلة إلى حد بعيد)

ففرح كثيراً لأستاذ محمد و شرع في تشجيعي المتواصل على قراءة المزيد و المزيد في الفيزياء.

و كطفل في هذا العمر ، يفرح فرحاً شديداً على تقدير مثل هذا ، و فعلاً واصلت القراءة و البحث أكثر فأكثر في الفيزياء و الرياضيات و الكيمياء ، عن طريق الويكيبديا و عن طريق كتب الصف التاسع و العاشر و الحادي عشر و البلكوريا (و أذكر هناك زميل لي باعني نوطة بكالوريا في الفيزياء و طالباني بدفع ثمنها ثلاث مرات !!!!!! حتى إنه مرة أعار أخي صحناً و معلقة في معطم المبيت و أخذها مني كذلك !!!!! سيدي الله يسامحو) فأذكر أنّ أكثر ما أثار اهتمامي هو كيفية حساب عدد الذرات و قوانين الغازات و تشكل الفوتونات و بنية الذرة و نظرية النسبية لأينشتاين و قانون الجاذبية و غير ذلك كثير ؛ و بدافع النرجسية و الشعور بالتفوق و لربما التغطية على عقدة النقص ، كنت أذهب و أحدث لأستاذ محمد سكر في كل شئ اقرأه ، و مرة من المرات ، فتش لأستاذ محمد سكر عن الوظيفة ، و وجد آخر الصفحة ملاحظة قد وضعتها أنا عن قوانين الغازات و قوانين الضوء و ربطهما ببعض ، تأمل بها قليلاً و كأنه تفاجئ ، فيما بعد طلب مني طلباً صعباً جداً في ذلك الوقت ، هو أن أخرج إلى اللوح و أشرح المفاهيم التي كتبتها ، و أنا في ذلك العمر كنت شديد الخجل و الحياء ، بل و كنت أعاني من ضعف رهيب في الشخصية ، و كانت هذه بادرة جميلة من لأستاذ ، بعد أن كتبت القوانين و شرحتها ، خرج لأستاذ من المقعد الذي كان يجلس فيه و قد أبدى إعجاباً كثيراً و أثنى عليّ و مدحني كثيراً ،أعطاني هذا دافعاً قوياً و فخراً بنفسي ، و قتل كل شعور بالنقص و الخجل من نفسي الذي كنت أعاني منه ، حتى انتهت الحصة و استدعاني المدير الشيخ أسامة و أعطاني شهادة تقدير في الفيزياء من أجل شرحي على اللوح و ملاحظاتي ، و

أعطاني معها ٣٥٠٠ (و كانت بتحكي وقتا يعني ما يعادل ٤٠ دولار أو خلينا نقول مبلغ منيح لأنو بزمن النظام لأسعار ما بتحدد بالدولار) .

و فوراً ذهبت إلى محل فلافل الراعي و اشتريت سندويشة دبل و اشتريت بسكوت و شيبس و ـــــــ إلخ ، باختصار خلصتا قبل ما أوصل ع البيت 😂😂 .

على أي حال ، لقد آمن لأستاذ محمد سكر بي ، و مدحني في صفوف أخرى ، و كان سنداً معنوياً لي ، و متابعاً لقراءاتي و موجهاً و أباً روحياً ، و لقد رأيته كل شئ في ذلك الوقت ، فهو الذي يعود الفضل إليه في اختياري مجال الفيزياء ؛ و له الفضل في قراءتي الكثيرة في عمر صغير نسبياً (صف سابع و ثامن) و له الفضل في حبي للعلم و اختياري المنهج العلمي في التفكير و بعد كل هذه لأمور قررت أنني أريد أن أصبح عالماً في الفيزياء و صارت الفيزياء بحد ذاتها هدفاً لحياتي و معنى لوجودي ، لهذا أردت أن أكمل الدراسة فقط من أجل أن آخذ الدكتوراه في الفيزياء ، من غير شك كل هذا لم يكن ليخطر على بالي لولا لأستاذ محمد سكر ، له الكثير من لأفضال المعنوية و العلمية عليّ ، فلو أفردتها واحدة تلو لأخرى بالتفصيل لا أتوقع أنّ كتب الدينا ستسع لذكرها ، باختصار هو الذي صنعني من لا شئ .

على كلّ ، أذكر أنني من كل المواد الشرعية أظهرت تفوقاً في العقيدة فقط ، فقد كنت ضعيفاً في الفقه و ضعيفاً جداً في القرآن (فتجويده و قراءته كنت أعاني جداً منهما ، بالرغم من التدريب الشديد و المحاولات الكثيرة ، إلا أنّ قرائتي في القرآن و حفظي سيئان إلى حد رهيب و حتى اليوم !!!) و كنت جيداً لا بأس لي في

المواد العربية (خصوصاً علم النحو) ، و من خلال علم العقيدة الذي عشقته ، تفتحت ذهنيتي على تأويل القرآن و مسألة السلف و الخلف ، و أنّ الله منزه عن لأعراض البشرية (لا زمان و لا مكان و لا جهة و لا يقبل الحوادث و لا التحيز و لا التركيب و لا يقبل العرضية و لا الجرمية و لا ـ ـ إلخ) و تفتح ذهني أكثر على جدلية " لإلحاد – لإيمان " و بحثت بها أكثر ، فلقد تعلقت ايضاً بأستاذ العقيدة و أحببت طريقته في لإعطاء و الشرح (لأستاذ سامر شومان) و عن طريق لأستاذ سامر و تشجيعه درست علم العقيدة و بحثت فيه ، و من خلاله عرفت من هم المعتزلة و الدهريين و السلف و الخلف و ما معنى لإشراك و ـ ـ ـ إلخ ، و بسببه لم يمر يوم من ذلك الوقت حتى اليوم إلا و قرأت كتاباً في العقيدة (فعندي هوس غير معقول في العقيدة و الفلسفة اليوم !) .

التغير يبدأ من الصف الثامن :

أحد أصدقائي ممن أعرفهم بدأ يتشكك في بعض جوانب الدين ، كالسحر و الروح و الجن و عدم الاختلاط و قدسية أبو حنيفة و علمه ، و صحة علم مصطلح الحديث ، و بدأ يتسائل عن جوانب في مفهوم الله ، و دخلنا في نقاشات حادة ، لم ينتصر أحد منا و لم يغير وجهة نظر لآخر ، و لم يظفر بإقناعي ، إذ كنت شديد الدفاع عن المفاهيم الدينية الكلاسيكية كما تلقيتها من المعهد آنذاك ، و لكن أعطتني هذه النقاشات بأنّ هذه المفاهيم التي تعلمتها قابلة للأخذ و الرد ،و قابلة للشك و النقاش و البحث عن دليل.

حتى عاودني الشك مرة أخرى ، و أصبحت أتوسوس من هذا الموضوع ، قبل النوم خصوصاً ، عن هل القرآن حق ؟! هل نبوة محمد ص حق ؟! هل الله موجود ؟!! ثم بعد صراع داخلي مع

نفسي تبين لي أنّ لإسلام حق و أنّ نبوة محمد حق و أنّ ما جاء في القرآن حق ، و الذي أذكره أنّ حججي كان على مدى بعيد من السخافة و الطفولية ، مثلاً أتذكر أنني استدللت على وجود الله من لاختلاف بين الذكر و لأنثى !!! .

فعدت إلى صلاتي و صيامي كما مارستها أول مرة (فقد وعدت نفسي إن لم يكن الدين حقاً أن أترك الصلاة و الصيام !!)

و أذكر مرة أنني سمعت من أستاذي الحديث ، عن قصة جبريل عندما تمثل لنبي لإسلام محمد ص على هيئة بشر و سأله ما لإحسان ، فأجاب : لإحسان هو أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، فترك هذا الحديث أثراً قوياً في نفسي ، و أصبحت أكرره كل اليوم و أسأل " ما معنى أن تعبد الله كأنك تراه ؟!!! " و أذكر في نفس الليلة بعدما انتهيت من الصلاة ، سألت نفسي بصدق " هل أنا أعبد الله كأنني أراه ؟!!! " بعد تأمل دام أجزاء من الثانية قلت لنفسي " أنا كذاب لو كنت أؤمن بالله مثلما أرى الباب لآن لما عصيته أبداً ، لهذا وعدت ربي أنه إذا بحثت عنه سأبحث عنه بصدق حتى التيقن بوجوده أكثر من يقين رؤيتي الباب الآن ، و قلت : ربي أنت تراني لآن و تسمعني ، إذا ضللت فلا تتركني ، فأنت الوحيد الذي تعلم نيتي !! " على هذا المبدأ انطلقت في حلة البحث عن الحقيقة كما سنرى لاحقاً ، اليقين بالله أكثر من رؤية الباب ، عبارة " تعبد الله كأنك تراه " هي التي جعلتني أسعى لإدراك الله كأنني أراه (و ذلك بالبحث اليقين عنه) حتى تصبح عبادتي صحيحة أكثر .

و لكن لم آخذ الأمر بجدية في ذلك العمر ، و عدت إلى عقيدتي و ديني كأنّ شيئاً لم يكن .

الضربة القاضية :

عندما نجحت في امتحان الإعدادية ، و أخذت الشهادة ،. أعطاني والدي هدية النجاح كتاب " الكون الأنيق " لبريان غرين و فرحت من نفسي بعد خوف شديد ملأني من الرسوب (فقد كنت أخاف ألا أدخل كلية العلوم قسم الفيزياء!!) ؛ و جلست مبيت في الصيف لكي أحفظ ربع القرآن ، و لكن لم أبق في هذه الدورة أسبوع واحد فقط ؛ لماذا ؟!!

لأنني كنت أفشل مراراً و تكراراً في قراءة القرآن و أفشل في حفظه ، و كنت أعاني معاناة شديدة حتى أخرج اللفظ الصحيح ، لقد تأملت بشدة ، فلم أكن أعرف شيئاً في التجويد و كنت سيئ القراءة إلى حد بعيد جداً ، كنت أذهب و أبكي بسبب ذلك ، لقد آلمني جسمي و رأسي ، و اعتقدت بأنني لن أستطع حفظ القرآن أبداً ، و كنت دائم الشكوى لشيخ شاب كان عندنا ، و كان دوام الدورة من السادسة صباحاً حتى السادسة مساء ، و كنا في شهر رمضان عندئذ ، و قد وقعت في خيبة شديدة على ما أذكر ، أحب القرآن و لكن أفشل مراراً و تكراراً في أن أقرأه ، و أذكر أنه ذهبت للأستاذ فراس خليفة و قلت له إنني لا أحسن صنع شئ ، و إنني أشعر بضيق نفسي عميق ؛ فوضع لأستاذ يده على رأسي و قال " موسى اهدأ ؛ كل شئ سيكون على ما يرام " ؛ ثم لكي أشجع نفسي على البقاء طلبت منه أن يشرح لي معادلة شرودنغر (فقد كان لأستاذ فراس أستاذ فيزياء أيضاً و هو من الأساتذة المعروفين ، و هو خريج ماجستير معهد الليزر في دمشق و كان صديقاً مقرباً و أستاذاً رائعاً لي) و عدني أنه سيشرحها لي و لكن حالت الظروف دون ذلك .

يوم عن يوم لم تُحل المشكلة ، حتى إنّ أحد الشيوخ اقترح عليّ أن أذهب و آخذ دروس مع لأطفال ، أذكر أنه قال : إلا إذا فيك مسّاً من التكبر !!! ، ذهبت و لم أكذّب خبر ، و لكن معاناتي تزداد ، أجلس نهاراً كاملاً على حفظ صفحتين !!! .

لكن عموماً لأجواء كانت جميلة للغاية و لا تزال عالقة في ذهني ، فعند آذان المغرب كانت تضع أمامنا صحون من التمر و كؤوس من الماء ، عند لأذان نشرب الماء و نقوم للصلاة ، بعد الصلاة نذهب المطعم لنأكل أفخم المأكولات و ألذ الصحون ، و بعد الطعام ، نخرج إلى الباحة للتنزه و اللعب و غير ذلك ، و كانت النجوم و القمر في الصيف فوقنا في الباحة ليلاً ما بين المغرب و العشاء ، و الرياح الخفيفة الجميلة عند ليل في الصيف ، كانت أجواء فرح و لعب عموماً بعد أذان المغرب ، و كنا بعد العشاء نذهب لنصلي التراويح ،و أذكر أنّ الذي كان يؤم بنا شاب يطول كثيراً في الصلاة ، حتى إنه تورمتْ قدماي بسببه !!! كان الوقت الذي يستغرقه صاحبنا هذا في الصلاة قريب النصف ساعة على ركعتين و ربما أكثر على ما أذكر ، مما جعل الكثير من الطلاب يهربون من الصلاة بسببه.

بعد العشاء نذهب لننام ، و كان سريري في الطابق الثالث ، يدخل موجه يطفئ لأنوار و " يخرس الكل " تقريباً ، و كان نومي عميقاً جداً في تلك الفترة و لا أعلم لماذا ، باستثناء يوماً واحداً عندما أقام أحد لأستاذ مجلساً للذكر و أشعل لأنوار و كان يوماً سيئاً جداً على ما أتذكر .

و على ما أتذكر ، في تلك الليالي ، كانت أول مرة في حياتي ، أتمنى أن تكون هناك فتاة في حياتي و كنت مثل أي مراهق يحلم بأن أصبح أعرف الكثير من الفتيات و لا أعلم ما هو السبب حينها

، ربما بسبب القلق الذي كنت فيه ، ربما بسبب شعور النقص ربما لست أدري .

بعد أسبوع قررت ترك دورة القرآن نهائياً ، و عدت إلى المنزل ، لأعود إلى الحياة العلمانية التي اعتدت عيشها في المنزل ، و قد أحسست أنني تنفست عن كثير من الضغط ، و أذكر أنني ملئت وقتي في فهم رياضيات النسبية العامة ، و الكيمياء الحرارية و قوانين أفوغادرو و توابع اللوغارتيم و قرأت لأول مرة عن آلية صنع الليزر و كنت أعشق برامج الفيزياء و العلم على التلفزيون . ، و مرّ شهر رمضان و أنا بخير (و كنا نسكن في ركن الدين حينها) و أذكر أنه في ليلة القدر دعوت الله أن يلهمني ويعطيني ألف اكتشاف في الفيزياء!!!!!!

في الصف العاشر ، حيث دخلت الفرع العلمي في معهد لإحسان ، حتى جائتني موجة شك أخرى في الدين ، و هذه المرة دون الحوار مع صديقي هذا الذي لم يتوقف عن نقد المذهب الحنفي و شيوخه و نقد الصحابة و نقد فكرة الجن و الروح و السحر .

طلبت من صديق لي أن يرسل كتاب " التصميم العظيم " لستيفن هوكينغ ، حيث تهجم فيه هوكينغ على فكرة وجود الله و نفاها ،قاطعاً و جازماً أنّ العلم الحديث يرفض فكرة الله من أساسها و زاعماً أنّ العلم وجد البديل عن الله و تفسير للعالم من غير حاجة إلى إله ، لم يقع في نفسي الشك هذه المرة ، بل وقع في نفسي الجزم في نفي فكرة الله تماماً ، و بسبب بعض الفقرات في الكتاب التي أثرت بنفسي تأثيراً عميقاً ، مثل أنّ عجز لإنسان عن تفسير العالم هو السبب في اختراع فكرة الله ، فكرة العشوائية في لاحتمالات الكمومية ، تفسير لأكوان المتعددة و ـ ـ ـ إلخ .

هذه المرة تركت الدين نهائياً ، و شعرت أنني لم أعد بحاجة إليه ، و العلم وصل قطعاً إلى نفي فكرة الله ، و أنّ الله أساساً غير موجود ، عندها نفيت الصدق عن كل الكتب السماوية و عن كل لأنبياء و عن كل لأديان ، لم أرها أكثر من أساطير ، و اقتنعت بشدة على أنني لم أعد مسلماً ، و أنني أصبحت ملحداً ، و لكن كان ذلك يستلزم تغييرات حياتية و تحديات وجودية من مثل :

1 – ماذا يمثل محمد بالنسبة لي !؟!

2 – هل أصلي و أصوم و أمتنع عن الزنا ؟؟؟!

3 – كيف وجد العالم ؟! و من هم لأنبياء ؟!!!

4 – لماذا أوجد بدل من أن أكون معدوماً ؟ لماذا أنا هو الموجود و ليس أحداً آخر ؟!!

5 – هل أنا تحررت كوني لم أعد أقيم الشعائر ؟! أم أنني وقعت ضحية عدم بلا معنى كون لم يعد هناك إله يحميني و جنة أطمع الدخول إليها ؟!!

الكثير من التساؤلات و القلق الذي كان يساورني ، حتى إنني عانيت حتى استطعت ترك الصلاة ، كنت ملحداً و مقتنعاً بإلحادي و أصلّي بذات الوقت ، أكون جالساً ، فما أرى نفسي إلا قمت و أصلي ، لا أعرف لماذا و كيف !!! ؛ حتى لجأت إلى طرق غريبة من خداع النفس حتى أستطع ترك الصلاة ، مثل أن أؤجل الصلاة ثم أنعس و أنام و مثل أن ألهي نفسي في التلفزيون و الجوال ، لا أقول سوى أنني تدربت على عدم الصلاة !!! .

و قد كان التدريب شاقاً حتى اعتدت أن يؤذن المسجد و لا أقوم الوضوء أو أقيم الصلاة ، فقد استغرق مني الموضوع ٣ أشهر ، صدق أولا تصدق !!!! .

في نفس الوقت ، شعرت بنفور من المواد الشرعية و لم أعد أريد دراستها ، تراجع مستواي في الفقه أكثر فأكثر (مع أنّ شيخنا في الفقه الشيخ أحمد قشلان إنسان متواضع و خلوق و حباب لدرجة غير طبيعية ، فعندما تقبّل يده يقبّل يدك أيضاً!!!) و أهملت مادة القرآن إهمالاً تاماً ، فسرت ألعب و ألهو و أتكلم في حصة القرآن ، و صرت أتهرب من الصلاة في الفرصة ، لأذهب و ألعب مرة القدم ، و مع ذلك اهتمامي في العقيدة ازداد ، لا لشئ ، سوى لكي أبرر إلحادي أمام أصدقائي !!! .

لم يلفت نظري في ذلك الوقت سوى أستاذين ، لأول هو الشيخ عبد الفتاح أنيس ، كان أستاذنا في الخطابة. ؛ و كان ذو كريزمة و براعة غير طبيعية في الكلام و التدريس ؛ كان شخصاً لديه قدرة استثنائية على لإقناع و التعليم و التربية عن طريق النكتة و القصص و العلم و تكوين العادات ، كما كان خبيراً بعلم النفس و علم التربية ، و له شعبية كبيرة جداً في الشام تكاد تفوق أي شيخ آخر ، و الاستاذ الآخر هو أستاذ لأصول الشيخ أنس العز (و هو نفسه أستاذ المنطق يشرح السلم المنورق) و قد كان هذا الشيخ أبرع إنسان أراه في الكلام و البلاغة في الحديث و منطق في العقلية ، كان شخصاً لا تقدر إلا أن تحبه و تقدره صراحة ، كانت مادة مثل أصول الفقه صعبة للغاية استطاع الشيخ أنس أن يعلمنا إياها و يشرحها لنا بكل براعة حتى علقت المعلومات إلى اليوم في ذهني (فقد كان مقررنا يتكون من مصادر التشريع الأربعة ب لإضافة للاستحسان و سد الذرائع و شرع من قبلنا و لاستصحاب و ـ ـ إلخ) حقيقة لقد قرأت الكثير من أصول الفقه فيما بعد و سمعت للكثيرين ، لم أجد أفضل من الشيخ أنس في فهم المادة و شرحها للصراحة ؛ و بعدما أخذت علم أصول الفقه أصبت بصدمة ، أصبت بدهشة و غرابة ، خصوصاً بعدما أخذت درس القياس و

درس الاستصحاب ، فبعدما تُشلّ أيدينا من الكتابة ، و الإرهاق بعد نهار كامل ، كانت مفاهيم أصول الفقه تردد كثيراً على ذهني و على لساني ، فقد أعجبتني الدقة و المنهاج المعرفي في هذا العلم ،و و شعرت أنه يمت بصلة قوية الفيزياء ، ففي الفيزياء يقوم العالم بتجربة واحدة ، ليعمم دون مبرر الاستقراء القوانين التي وجدها في الجربة ، فظننت آنذاك أنّ قياس المثيل (قياس جزئي على جزئي لاشتراكهما بعلة) هو المبرر لتعميم القوانين الفيزيائية.

و بسبب أصول الفقه و علم المنطق مع علم العقيدة تكونت ملكة الجدل لدي ، و بدأ لاطلاع على علم الكلام و كان أول كتاب أقرأه في هذا العلم هو " الفصل في الملل و النحل " لابن حزم ، و كتاب " لإبانة عن أصول الديانة" لأبو حسن الأشعري.

على الرغم من إلحادي ، إلا أنني أنّ كل اهتماماتي كانت إسلامية ، فكنت كثير القراءة للتاريخ لإسلامي خصوصاً تاريخ الخلفاء الراشديين ، و كنت كثير القراءة السيرة النبوية ؛ و أول كتاب قرأته و أعدته ٣ مرات لأنني أحببته هو كتاب لأسوة الحسنة (نسيت اسم المؤلف لكن الكتاب كان هدية من الشيخ أسامة لأخي بسبب تفوق هذا لأخير في الصف) ثم قرأت سيرة ابن هشام ، و بدأت قراءة ويكيبيديات عن سيرة محمد و حياته و تاريخه ،و بعد تعلمي علم أصول الحديث في الصف العاشر و الحادي عشر ، صرت أفهم معنى الحديث المتواتر و الحديث الضعيف و الصحيح و الحسن و لآحاد و المشهور (عند لأحناف) و ـ ـ ـ ـ إلخ ، و كنت جيداً فقط في أصول الفقه و العقيدة ، هذا بعد إهمال تام لباقي المواد الشرعية .

ازدادت تساؤلاتي عن محمد نبي لإسلام آنذاك : من هو ؟! مو الدليل على نبوته ؟! هل أعطى الخلافة لعلي ؟!! هل كان يؤلف

القرآن ؟!!! عندها لجأت إلى Google و الويكيبديا و قرأت الكثير من المقالات عن محمد عند المسيحية و غيره ،و أكثرت من مشاهدة المناظرات حول النبي محمد ،بين مسيحي و مسلم ، بين ملحد و مسلم ، بين ـ ـ و قرأت لأول مرة كتاب الفتوحات العربية من روايات المطلوبين تأليف : حيث يتحدث الكاتب فيها عن وثائق قديمة تتحدث عن الفتوحات لإسلامية و سيرة النبي بروايات سريانية و فارسية و قبطية و حتى صينية ، ففتح لي هذا المقال آفاق تاريخية عميقة و بسبب هذه المقالات أبديت اهتماماً في علم التاريخ .

و بدأت أقرأ في تاريخ الإسلام و تاريخ العرب القديم و تاريخ الرومان و تاريخ الديانة المسيحية و تاريخ اليهود (و كانت مصادري قليلة من مثل كتاب مورس بوكاي و مقالات ويكيبيديا) و أكثرت من مشاهدة مناظرات أحمد ديدات و حلقات زكريا بطرس و لأخ رشيد و فيديوهات ياسر حبيب و أمير قرشي و محمد صالح (ذلك المقعد) و تابعت الكثير الكثير من المناظرات بين لإسلام و المسيحية و بين الصوفية و السلفية و بين الشيعة و السنة ، وكما تابعت فيديوهات للشيخ العلوي أحمد أديب كي أتعرف على المذهب العلوي النصيري ، و بدأت أقرأ عن ابن تيمية و بدأت اقرأ كتبه (فكان أول كتاب أقرأه له ردء التعارض) و كثرت قراءتي لأبو حامد الغزالي (و كنت أشعر أنه أقرب مفكر إسلامي لروحي بسبب تجربته التي تحدث عنها بسبب تجربته الدينية التي عاشها " من الكلام إلى الشك فالسفسطة إلى التصوف " التي وصفها في كتاب " المنقذ من الضلال " شعرت بأنه قريب مني أو أنه قد يفهمني ، و بسبب كثرت المقالات عن صراع ابن الرشد معه (حيث رد لأخير عليه بكتاب تهافت التهافت رداً على كتاب أبو حامد تهافت الفلاسفة الذي يكفر فيه فلاسفة لإسلام * لثلاث مسائل) بدأت اقرأ لابن الرشد و بسبب ابن رشد اطلعت على فلسفة

أرسطو ، و من أرسطو اطلعت على المنطق (و قد كان لي فيه القليل من المعرفة من خلال مادة المنطق في المعهد على يد الشيخ أنس العز) و مع ذلك كان اطلاعي قليلاً جداً و محصوراً في التراث لإسلامي و العلوم الشرعية و بعض لأمور في الفيزياء و الرياضيات.

و عندما دخلت الصف الحادي عشر ، أهملت المواد الشرعية إهمالاً تاماً ، مركزاً كل طاقتي و جهدي على الفيزياء و الرياضيات ، و كرهت العلوم الشرعية و لإسلام عموماً لأكثر من سبب ؛ أبرز هذه لأسباب :

1 – الحرمان من الجنس لآخر بداعي العفة ، فقد كان لدي اشتياق رهيب و مخيف للجنس لآخر و معاشرته و هو ما كان أساتذة المعهد يشددون على تحريمه

2 – الجفاف الشديد و المعاملة القاسية التي كان يعاملنا بها بعض المشايخ كالإجبار على صلاة الفجر و الضرب على أتفه لأمور و مصادرة الجوالات و منع سماع لأغاني أو مشاهدة لأفلام

3 – خرافية إلى حد ما ، بسبب لاعتقاد بوجود الملائكة و الروح و الجن و السحر و حتى القول بأنّ مكة مركز لأرض

و لهذه لأسباب و غيرها تركت دراسة العلوم الشرعية و أهملتها و صرت أهرب من الصلاة و من الدروس الشرعية لألعب كرة القدم أو ما شابه ، و كنت متقصداً الشغب في حصص العلوم الشرعية على العكس من العلوم العقلية .

فيما بعد ، كان من شروط التخرج من المعهد هو أن تتقدم برسالة تخرج بأحد المواد الشرعية تختصها ، و هذا الأمر كان يعتبر كابوساً بالنسبة لي ، فاخترت العقيدة ، لأنها أكثر مادة أجدها سهلة ، و ياللعجب !!!!!

الشيخ محمد تقوى اختير مشرفاً على رسالتي !!!!!!

الشيخ الذي أفنى عمره في الرد على الملحدين و لإلحاد !!!

و الشخص الذي اختصاصه الرد على لإلحاد و الملحدين !!!

سألني الشيخ عندما رآني : ما هو الموضوع الذي تحب أن تكتب عنه ؟!! قلت لنفسي " بما أنني أكره الخرافات ، و أكره العلوم لإسلامية ، سأختار موضوعاً قريب من الفيزياء علّما أطيق لإكمال في هذه السخافات " ، فقلت للشيخ : " سأختار موضوع إثبات وجود بداية للعالم" فقال لي " فليكن موضوعك إثبات وجود خالق و بداية العالم " و هو ما كان يمثل تماماً وجهة نظر مضادة لوجهة نظري ، دخلت المكتبة ، وفتحت الباب بقوة ، فقال لي أمين المكتبة الشيخ محمود (أو أبو محمود لست أذكر) : لماذا تدخل و كأنك في مداهمة !!؟؟؟ ، قلت له " سيدنا ، هي من اللهفة عليكن " نوع من المجاملة الشامية اللي تعلمتها هناك .

دخلت فأخرجت كتاباً لأبو حامد الغزالي لست أذكر ما هو ، و قرأت علم الكلام بتفاصيله فلم يعجبني كثيراً ، و لم أقتنع بفكرة أنني سأجند نفسي لخدمة إثبات وجود الله ، لهذا قررت التهرب من الشيخ محمد التقوى و اختراع لأكاذيب ، فلم أكتب سطراً واحداً ، بسبب أنني غير مقتنع بالمشروع ، و لا أؤمن بالله أصلاً !!!!!!!؟

- أذكر أنني قرأت قصة : أنه ذكر أمام ابن تيمية أنّ ابن سينا أعظم فلاسفة لإسلام ، فقال : ليس للإسلام فلاسفة !! .

و كثرت مشاكلي في المعهد ، و شكاوى الشغب ، خصوصاً في حصص القرآن ، و لم أكن أكنّ لاحترام إلا لأستاذ التفسير ؛ لا لشئ إلا لتواضعه و وده الشديد ، فيما بعد ، كثر خروجي إلى المقاهي و التدخين و المشاوير مع أصدقائي ، خصوصاً مع صديقيّ عماد و عمر السعيد ، و قد أخبرتهما بإلحادي ، و كان لدي صديق سلفي (اسمه على ما أذكر سعيد قصار) يعرف أنني ملحد و كنا نكثر النقاش (و صديقي هذا كان كثير المشاكل مع لآخرين بسبب تشكيكه بأبو حنيفة و تعظيمه لابن تيمية و ابن عبد الوهاب ، أذكر أنه كان يفتح جدالات طويلة مع أستاذ العقيدة و مع غيره من لأساتذة و قد وصل غضب الطلاب منه إلى حد أنهم أرادوا ضربه أكثر من مرة ، إلا أنّ الشيخ أسامة على الرغم من إدراكه لاختلاف مع الطالب إلا أنه كان حليماً حلماً غير طبيعي معه و مع غيره من الطلاب) .

حاولت أكثر من مرة أن أصنع قصص حب مع فتيات ، إلا أنني كنت أبوء بالفشل ، لا لشئ ، لقلة جرئتي و اعتقادي أنّ لأنثى مخلوق فضائي لا يمكن الوصول إليه ، كنا نخرج على شكل شلل أنا و أصدقائي لنمشي و نسير في ببيلا و دمشق القديمة و غيرها ، و أذكر مرة أعطانا لأستاذ خرسا مالاً و هكذا دون سبب(و أذكر أنه كان أستاذاً للعقيدة و غريب الأطوار لدرجة غير طبيعية) ، ذهبنا (أنا و أصدقائي) إلى المقهى لكي نأركل ، و كان يخرج معنا طالب صف ثامن ، و هنا (طب غم) استدعانا موجه من المعهد اسمه الشيخ عبد الله ، يسأل لماذا يخرج معنا طالب أصغر منا بثلاث سنين ؟!!!! ما غايتنا ؟!!!! و ماذا نصنع ؟!!! و بدأ و كأنّ الشيخ يتشكك في أننا مثليون ؟!!!! هكذا و بكل صراحة ، و كثيراً ما استدعاني الشيخ ، بعد كل امتحان و مذاكرة كان يستدعيني و

يحقق في الموضوع ، يبدو وكأنه كان يملأ وقته ، كل الذي وصله من هذا الطفل الذي كان يمشي معنا هو أننا كنا ندخن ، و ابتدأ هذا الشيخ ينسج و يصنع النظريات في دماغه ، فتارة اتصل بأهلينا يلمح لهم بأننا مثليون ، و تارة يقول يطلب أولياء أمورنا ،وعلى ما أذكر ابتدأ أبي بالصياح قائلاً: " سنأتي بالشرطة و نفحص الولد و إذا تبين كذبكم سأسجنكم جميعاً " ، هنا خاف الشيخ عبد الله ، جاء أبي إلى المعهد و وضع له حداً و استشهد بآيات قرآنية و أحاديث مما جعله مكبوتاً و ساكتاً و بهت من أبي ، مما ملأه حقداً و كراهية عليي ، بجانب أنني كنت طويل اللسان عليه و أكثر من الرد عليه ، فازداد غيظاً و كرهاً و " حط حطاي" مثل ما يقولون ، حتى في كل مرة ، من بين كل الطلاب المتأخرين يعاقبني أنا فقط ، يفتش جوالي ، و استدعى أبي مرة قائلاً " ابنك يسمع للأغاني لأجنبية " و جعلني أقف مرة أمام لإدارة ساعة كاملة ، و قد " عوفني التنكة" كما يقال .

مرة عندما كنا في الباص ، أخبرت صديقي عماد أنني أريد ترك المعهد لأنني لم أعد أطيق العلوم الشرعية ، فقال أنهي الصف الحادي عشر و اذهب إلى أي مدرسة ، و ما إن نزلنا من الباص ، حتى استوقفنا الشيخ عبد الله و أخذني و ترك عماد ، فصحت عليه لأنني شعرت بضيق شديد و إهانة ، فضربني " كف " و صفعني على خدي " مثل فراق الوالدين " و أنا هنا كنت على وشك البكاء ، و من شدة شعوري ب لإهانة ،ضربته على كتفه ، فقام و ضربني ضرباً مبرحاً و شديداً و طردني من المعهد ،هنا خرجت و أنا أهدده بخال أبي !!!!!!!!

(مع العلم أنه ألطف إنسان في العالم ، لا يؤذي نملة !!!

لكن حركات المراهقة !!!؟؟؟) .

هنا أبدى الشيخ أسامة حلماً و حكمة غير طبيعيين ، فاستسمح أبي و الأستاذ محمد سكر هدأ من الوضع كثيراً ، و أهداني عندئذ الشيخ بدلة و طقماً كتعويض عن لإهانة (و كان هذا بالغ من اللطف) و لكن أنا عندت و ازدت عنادية ، لا أريد العودة إلى المعهد ، لأنّ هذا الشيخ كفرني بكل ما تعنيه الكلمة ، و ازداد حقدي على الدين بسببه ، وصار لإسلام أبغض شئ في حياتي ، و صار لإسلام بكل شعائره محل كره و حقد بالنسبة لي .

دخلت المدرسة الخاصة " دمشق الوطنية " و دفع أبي مبلغاً ٣٠٠ ألف ليرة في ذلك الوقت ، و أمضيت السنة " الثانوية " بشكل طبيعي ، و أذكر أنّ العديد من زملائي كانوا معي في البكالوريا مثل عبد الله لأخرس (وهو طبيب أسنان لآن) و نسيب البارد (لا أعرف شيئاً عن هذا لكن أذكر أنه كان يدرس الهندسة المعمارية) و أذكر كان معي أحد أصدقائي البارزين حمزة الدهان الذي لم اقطع علاقتي به ابداً فحتى هذا اليوم نتواصل و علاء السعدي المتحمس للدولة الجديدة و المدافع عنها و زهير المصري صديقي الذي يحب لإسلام السياسي و مؤيد للفصائل الجهادية ، أما الباقي فكانوا عاديين جداً بل و " قفلجية " جداً .

في البكالوريا ، و باطلاعي البسيط على الفلسفة و الأخلاقيات العلمانية ، تأثرت كثيراً بفلسفات الزهد و التقشف كالكلبية و التصوف ، فقررت ألا آكل سوى وجبة واحدة في اليوم من غير لحم و لا أشرب الشاي و لا أكثر من الطعام ، فسبب لي هذا الكثير من الضرر على المستوى الذهني و البدني ، فعلى المستوى الذهني ، صرت أحلم كثيراً بالطعام و أكره لأشخاص الذين يأكلون الطعام الذي أشتهيه ، و صار تفكيري كثيراً حول الطعام و بدني ينتفض عندما أرى الطعام ، و شهوتي زادت أضعافاً بكل النواحي ، الجنسية و الأكليّة و غير ذلك ، مع أنني كنت أدرس دراسة طوال

الوقت ، توقع الجميع مني أن أحصل العلامات التامة في كل المواد ، و لم احصل في النهاية سوى 213.4 من 240 ، و هذا كان بسبب الزهد ، و ربما السبب الرئيسي الذي يجعل المتدينين يستحقرون الزناة و كرههم للمختلطين بالجنس لآخر الزهد عن الجنس ، بالنهاية لست أدري لعلّي أكون مخطئاً ، و أذكر أنه في الباكلوريا لم أستطع أن أمنع نفسي من التوق الشديد للجنس لآخر ، فكل فتاة تضحك بوجهي و تبتسم أو تقول لي " مرحبا " أحبها و أحسبها حبيبتي ، و على ما أذكر أحببت فتاة من أقاربي تكبرني 12 سنة فقط لأنها تضحك بوجهي و تحدثني كإنسان طبيعي !!!!!؟

على أي حال ، فعلى الرغم من الجوانب السلبية التي كانت في حياتي أيام الباكلوريا ، إلا أنّ هناك جانباً إيجابياً مهماً في حياتي نمى بنفس الوقت .

روتيني الجديد :

كان من عادتي في البكالوريا ، أعود من المدرسة مشياً ألى المنزل ، بحدود ال ١٠ كيلو متر على ما أذكر (أكثر أو أقل لست أذكر ، باختصار هي المسافة من شارع النصر عند المحكمة إلى ركن الدين عند أفران ابن العميد و فوق للأعلى في وادي سفيرة) و أنا عائد مشياً كنت أفكر في الكثير من لأمور ، حول الحياة و الحب و الطبيعة و الإسلام و لأصدقاء و ـ ـ ـ ـ إلخ و كان من عادتي أحياناً أن أشتري كتاباً من البسطة تحت جسر المشاة في شارع الثورة و أقرأه ماشياً حتى أصل إلى المنزل ، و هكذا عندما أعود (و كان دوامي مسائي) كنت أنام حتى الساعة 11 ليلاً أو 12 ؛ ثم ابتدأ بالدراسة حتى السابعة صباحاً ثم أنام حتى الساعة 12 ظهراً و استيقظ لأذهب إلى المدرسة الساعة 1 و أصل 2 و ينتهي دوامي الساعة 5 و أعود مشياً للمنزل و هكذا ـ ـ ـ ـ ؛ و في

فترة دراستي ليلاً حيث لايوجد أي إنسان ، كنت آخذ ساعتين استراحة أقضيهم في قراءة الكتب ، خصوصاً كتب الإسلاميات و التاريخ و الفلسفة (طبعاً بصيغة Pdf)، فقرأت بدية بعض من أعمال عبد الرحمن بدوي في لإسلاميات مثل تاريخ لإلحاد في لإسلام و الدفاع عن القرآن و الدفاع عن محمد صلى الله عليه و سلم و تاريخ الفلسفة العربية و الفلاسفة العرب و ترجماته عن منطق ابن سينا و ـ ـ ـ و قرأت أعمال أبو حسن لأشعري لإبانة عن أصول الديانة و غيره و قرأت كتاب التوحيد لأبو منصور الماتريدي و لم أفهمه كثيراً و قرأت عدد غير قليل من أعمال ابن تيمية الرسالة لأصفهانية و درء تعارض العقل و النقل و الرد على المنطقتين و منهاج أهل السنة و مجموع الفتاوى و ـ ـ ـ ـ إلخ و قرأت أهم أعمال ابن حزم الفصل و طوق الحمامة و رسالته في المنطق و المحلى و مراتب لإجماع و أذكر أنني قرأت كتاباً له في أصول الفقه فصعقت عندما رأيت فقيهاً ينكر الرأي و القياس **!!!** و يتهجم على أبو حنيفة و مالك **!!؟؟** و صعقت أكثر عندما رأيته ذو قصص عشق و يذكر قصص حب مثلية في كتاباته ، و مع ذلك فقد أثّر فيي تأثيراً عميقاً للغاية ، فقد أخذت طريقته في الجدال ، من حيث إحكام وضع المقدمات و القياس (قياس الشمول الذي يحبه) و ضرب الحد لأوسط و فرد لأقوال في أي مسألة و الرد عليها بناء على عدد قليل من المبادئ الواضحة (الظاهرية) و لكن كنت أشعر كثيراً أنه كان يصرخ في الكتابات و يكثر من الشتم و الهجوم العنيف مثل (هؤلاء النوكى) أو (الذي بال على نفسه) أو (لعمري لقد وصف ربه هو أولى به) *

- هذا عندما رد على رسالة ليهوذا في العهد الجديد عندما وصف مجيئ الرب مثل مجيئ اللص في الليل !!

و لكن استفدت منه فوائد منهجية ، مثلاً تفكيكه لمقدمات الخصم لإفساد البرهان و الرد عليهم أعجبتني كثيراً و هو لأسلوب الذي استخدمته كثيراً في كتابي " تساؤلات في الدين " عندما فككت براهين الخصم عن وجود الله و أفسدتها ، و فكرة ضرب المقدمات الكبرى و الصغرى و لاتفاق على عدد قليل من المبادئ التي نتفق بها مع الخصم أيضاً استخدمتها في عدد غير قليل من حواراتي عند مناقشتي لعدم صلاحية منهج العنعنة أو ضد فكرة النبوات أو ـ ـ ـ ـ ـ ـ ـ إلخ و مثل ذلك كثير .

القراءة الكثيرة في علم الكلام ، مثل الملل و النحل الشهرستاني أو غاية المرام لنفس المؤلف ، أو حتى الذي في درء التعارض لابن تيمية أو حتى في تهافت الفلاسفة لأبو حامد أو بعض الوريقات التي قرأتها للباقلاني (نسيت اسم الكتاب الذي قرأته) أو حتى لإبانة للأشعري أو كتاب الفقه لأكبر (الصغير جداً و ينسب لأبو حنيفة و لست أدري صحة هذا لإدعاء) و الكتب الكثير في أصول الفقه ، جعلني أشعر بضيق شديد من أنني لا أقرأ سوى إسلاميات و أنا جاهل بقوة في فلسفة العصر أو حتى لدي جهل مطبق من الفلسفة الأوروبية ، حقاً لم أكن أعرف عن فلسفة الغرب سوى بعض الصفحات مما قرأته في المكتبة الشاملة لدكتور ربما اسمه محمود ربيع ، و عرفت من خلاله الصراع بين المادية و المثالية فقط !!! و قررت بعدها قراءة الكتابين لآخرين الذين كانا في القسم من المكتبة الشاملة لإلكترونية (لأول مبادئ الفلسفة ديكارت و الثاني تاريخ الفلسفة الحديثة يوسف بطرس كرم) أما لأول فلم

أقرأه و الثاني قرأت فقط الفصول لأولى حتى فلسفة كامنبيلا على ما أذكر .

و كان لي عادة هو أن أفعل باقة ب ٣٠٠ ليرة مقداراً هو ٣٠٠ ميغا و كانت ممتازة في ذلك الوقت ، و كنت أنزّل الكتب ، فحملت عن طريق الخطأ مبادئ الفلسفة لديكارت ، و قلت لنفسي (و كنت عائد من البيت مشياً) : حسناً سأقرأ الكتاب بما أنني أمشي و أمشي " ؛ بعدما قرأت رسالة ديكارت للأميرة و هو يطبل لها ، و ذكرني بإعلام النظام في ذلك الوقت ؛ و قلت لنفسي : على ما يبدو أروربا في ذلك الوقت مثل سوريا اليوم (2021 في ذلك الوقت) ، بعدها دخل ديكارت في الفصل لأول ؛ و عندما وصل إلى فكرة الكوجيتو ، صدمت مما قرأت ، حيث جاء بما معناه :

" عندما ألمس لأرض أو أي شئ قد تخدعني حواسي ، و قد لا توجد أرض من لأساس ، و لكن أكثر شئ أنا متأكد منه هو أنني أفكر بأنني ألمس لأرض ، فبما أنني أفكر بأنني ألمس لأرض فلا بد أنني موجود حتى أفكر ، فمهما شككت في كثير من لأمور فلا أستطيع أن شك في تفكير أو أشك في شكي ، إذن لا بد أنني موجود بما أنني أفكر ، أنا أفكر إذن أنا موجود "

عندما قرأت بما هو مثل هذا الكلام ، صعقت و صدمت ، و بدأت كل الطريق و أنا أمشي من الحياة (عند نادي الجيش) حتى أفران ابن العميد و أنا أفكر في هذا الكلام ، قلت لنفسي " فعلاً فإذا شككت بوجود السموات و لأرض و ربما حواسي تخدعني ، و لكن من هو المخدوع و من هو الذي يشك و يفكر ؟؟! إنه أنا فبما أنني أشك و أفكر فلا بد أنني موجود ، لأنّ المعدوم لا يفكر إذن أوضح قضية لا يمكن الشك بها هو أنني بما أنني أفكر فأنا موجود و ـ ـ ـ إلخ " و كثير من التساؤلات خطرت على بالي و عقليتي تبدلت من وقتها

، و أصبحت (بتأثير من ابن حزم ز ديكارت) لا أقبل سوى بتدرج استدلالي منطقي ابتداء من مقدمات لا يشك بها أصل لنتيجة فأقبلها ، و يجب على هذه المقدمات أن تكون من أشد لأمور بديهية بالنسبة لنفسي و وجداني ثم نبني عليها معرفة ، ولكن هنا وقعت في مشكلة ؛ إذا كان لأمر يسير على هذا النحو ؛ فما الدليل على أنّ العالم الخارجي حقيقي و موجود ؟! فلربما حواسنا تخدعنا ؟!! و تجلت هذه التجربة في كتاب ألفته في البكالوريا اسمه " المبحث في البحث لإنساني " حيث و بتأثير من البوطي (في كبرى اليقينيات) و ابن حزم (في الفصل) و ديكارت (في مبادئ الفلسفة) أسست هذا المذهب الذي سميته المذهب الظاهري(تقليداً لابن حزم !!) ، فشرعت في نفسي بوضع منهج منطقي محكم للإجابة على جميع التساؤلات الكبرى بناء على مبدأ الكوجيتو و مبدأ العلية و مبدأ الذاتية و عدم التناقض ، حيث رأيت أنها البديهيات. الوحيدة و صدقها هو وضوحها ، و لكن مشكلة وجود و موضوعية العالم الخارجي كانت تحيرني بشدة ، حيث إجابة ديكارت لم تكن تقنعني ، حيث قال ديكارت بعد أن تأكدت أنني موجود ، فلا بد أنّ هناك وجوداً أكمل من جودي لأنّ هذه الفكرة ممكنة بعقلي ، و هذا الموجودات لأكمل لا يمكن أن تسلسل إلى مالا نهاية فلا بد أنها تقف عند حد أكثر كمالاً من كل شئ هو لإله الطيب الذي تسع رحمته كل شئ و علمه مطلق و أزلي و ـ ـ أي مطلق الكمال و منه فيما أنّ من صفات الكمال هو الوجود فلا بد أنّ هذا لإله موجود ، فلا يبقى مجرد فكرة ممكنة بذهني و بما أنّه من صفات الكمال الصدق و عدم الخداع فلا يمكن أن يتركنا الله ضالين مخدوعين بحواسنا !!!!!!! قمة في السفسطة و قد لاحظتها في ذلك العمر (ربما لفهمي جدياً معيار العلم الغزالي و تلخيص السفسطة لابن رشد) حيث كيف قفز ديكارت من فكرة " فكرة الموجود الكامل ك فكرة ممكنة " إلى " من صفات الكمال الوجود " لست أدري و حجته في ذلك غير مقنعة ، فقال " بما أنّ فكرة المساحة

المحصورة بين ثلاث مستقيمات ممكنة و أنّ مجموع أضلاعها تساوي قائمتين ثم وجدنا ما يمثلها في الواقع ـ ـ " حيث هذه الحجة نستطيع أن نعكسها و نقول " فكرة لإله الخبيث ممكنة في العقل ، أو فكرة جزيرة من ذهب هي ممكنة في العقل ـ ـ " فيا صديقي ديكارت ليس كل ما هو ممكن بالعقل يجب أن يوجد ، هذا يخلط بين ممكن الوجود و واجب الوجود كما سماه ابن سينا (و ربما الفارابي. كما كتب بدوي في كتابه عن فلاسفة لإسلام) و سنرى فيما بعد كيف نقد ابن تيمية الفكرة من أساسها (حيث رأى صاحبنا أنّه من الممكن أن يكون العالم واجب الوجود ، و بالمناسبة ابن تيمية توصل لمفارقة رسل ؛ عندما ناقش حلول الحوادث بذاته تعالى) .

على أي حال ، كتابي ديكارت " مبادئ الفلسفة " و " مقال عن المنهج " جعلاني أفكر بطريقة فلسفية في كل مسائل حياتي ، فطريقة عرض ديكارت الرائعة و الجميلة و طريقة تفكيره المنطقية جداً جعلاني أدرك كيف أنّ ديكارت ابتدأ عهد الفلسفة الحديثة برمي المقولات الجاهزة و ابتداء من الصفر في بناء المعرفة انطلاقاً في " ايجاد العلل لأولى " و حل جميع لألغاز الكبرى ، و لكن عندما تابعت كتاب " تاريخ الفلسفة الحديثة " لمؤلفه يوسف كرم ، لقد استوعبت الفلسفة الحديثة بمعظمها تقريباً (باستثناء القرن العشرين حيث كان إدراك المؤلف لها ضعيفاً جداً و هذا واضح من آخر كتابه حيث يمر مرور كرام عليها دون شرح تفصيلي فلا يوفي حق هسرل و لا سرتر و لا رسل و لا مجمع فيينا باستثناء طبعاً ويليم جيمس فهذا بوفيه حقه بالنقل و النقد و ربما كان لديه مصارد مباسرة عن فلسفة جيمس و صاحبنا المؤلف دراسة السوربون لهذا نجد عنده تفصيلاً الفلاسفة الفرنسيين مثل ديكارت و كوندياك) و من خلال كرم اطلعت على لوك و هيوم و

مل و جيمس و ليبنتز و هيغل و فيخته و شيلر و بوهمي و كامنبيلا و بريستلي و فولتير و كوندياك و الرشديين (بأول فصل) و بيكون و اسبينوزا و شوبنهور (و كان أول مرة. بحياتي أقرأ عنه و صدمت وجود فلسفات من هذا النوع !!) فولف و بيركلي و مالبرانش و كانط (و هذا لم أفهمه أبداً حينها !!! أعدت الفصل ثلاث مرات و لم أفهمه كما لم أستوعب هيغل كاملة !!!) و لكن تقدمت مائة سنة عندما قرأت لوك و اعتنقت مذهبه بسرعة ، و فعلاً وجدت أنّ نقده لديكات صحيح و أنّ المعرفة حقاً محصورة ب لإحساس و هنا كان مكمن القوة عندي عندما جادلت الكثير من السلفيين ، و عندما قرأت هيوم تقدمت ألف سنة , و هنا صعقت و صدمت حقاً من طريقة تفكير هيوم و أسلوبه في الفهم ، حقا هيوم هو الذي أيقظني من سباتي العميق و جعلني في يقظة الشك ، و تقسيماته لحقائق واقع و حقائق أفكار ؛ و أنّ آدم لم يكن يعرف أنّ الماء يغرف عندما شرب الماء و ـ ـ ـ إلخ و تشكيكه ب مبدأ العلية و أنه مجرد تتابع للمألوف و أنّ العلم هو سجل ماضي لتتابع الحوادث ، ثم تشكيكه بالتاريخ و المنقول ، جعلني أعيد نظرتي مرة أخرى في كل شئ ، جعلني أرمي المقولات الجاهزة بل و كل شئ واضح و لا أثق إلا من الفكرة من حيث تعرض علي (من حيث تقسيمه كانطباعات و افكار) ، و بسبب هيوم أعدت فلسفتي للوراء و غيرت كل نظرياتي و هو ما سنرى تطوره لاحقاً .

أخيراً أصبحت حسياً هيومانياً غير متأكد من وجود العالم و حسياً (أحب اللذة و زاهد بنفس الوقت !!!!) و أحب تلك التي تكبرني ب 12 سنة !!!!؟ ، غريب أليس كذلك ؟!!! إلا أنني لا زلت ذو ثقافة إسلامية إلى حد بعيد ، فلا زلت أرى الدنيا بمنظور الغزالي و ابن رشد و ابن خلدون و ابن سينا و ابن مسكويه في أحوال الدنيا و لأخلاق و الزهد ، فأذكر أنني وضعت مذهباً كاملاً في لأخلاق

مبني على الزهد (مثلما كان يفعل علماء لأخلاق لإسلاميون) اقتنعت بأنّ اللذة تنبع عن الحاجة و ليس لها وجود حقيقي هي ليست غاية بل هي جرس تنبيه من أجل أن تسد الحاجة ، و ما إن تسد الحاجة حتى تختفي اللذة ، و مما رأيت أنه يجب أن تسد جيمع الحاجات البشرية البيولوجية ثم فيما بعد يزهد لإنسان و لا يطلب أكثر ،فأذكر أنه مما كتبت " ما يهم لإنسان هو بيت يحتمي فيه و لا يهم إن كان له أكثر من بيت بل عليه أن يتخلى عنها و ما يهم لإنسان هو قطعة معدن من أربعة دواليب تنقله للحاجة و لا يهم شكل السيارة و لا يجب أن يكون عنده فوق الحاجة و ـ ـ ـ ـ ـ اللذة وسائل و الحاجات إنْ سُدَّتْ رُدَّتْ " و باختصار كان مذهبي في لأخلاق قائم بكامله على قول النبي صلى الله عليه و سلم " من أمسى فيكم آمناً في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها " و البعض من آراء هيوم في لأخلاق ، و أفكار السخيفة هذه لو طبقتها البشرية لانقرضنا منذ ألف سنة و لما وجدنا و هذا أمر سأبرره بعد خمس سنين بعدما أقرأ علم لاقتصاد (حيث دالة لاستهلاك في لإنفاق العام مهم لحركة لاقتصاد و ضد الركود كما برهن كينز) .

على أي حال بدأت امتحانات البكالوريا و أنا جاهز لها تماماً ، و كالعادة تعرفت على أصدقاء جدد ، و كان روتين يومي أيام لامتحانات أدرس طوال الليل دون نوم و أذهب إلى لامتحان دون نوم لأعود إلى المنزل و أنام على الساعة ١٢ ظهراً أو الواحدة و كان أول امتحان لي مبشراً هو امتحان الفيزياء حيث هذه المادة لم أدرسها سوى يوم احد قبل الامتحان (و قد درست كل درس بدرسه و حللت مسائل في شهر لانقطاع) و كان لأمر طيباً في المواد لأخرى ؛ و بقيت على توازني هكذا حتى امتحان العلوم ، بعدما قدمته انهرت تماماً ، و باقي لمادة الوطنية يومان ، عندها لما

عدت من امتحان العلوم عدت للنوم ، استيقظت الساعة السابعة و نصف و فتحت كتاب الوطنية ، لم أستطع قراءة حرف ، بسرعة نمت ، ثم استيقظت الساعة الثالثة ليلاً و لم أستطع قراءة صفحة ثم نمت هكذا العاشرة صباحاً ، أكلت و شربت ثم فتحت لأقرأ لم أستطع ثم نمت هكذا ـ ـ ـ ـ إلى أن أتى يوم لامتحان ، و أنا لست أذكر شئ سوى أول ثلاثة دروس (لأنها كانت فلسفية و هي دروس العقد لاجتماعي عند روسو و لوك و هوبز و نظريات أخرى عن تشكل الدولة منها النظرية العائلية و منها الدينية و ـ ـ إلخ) و هذه الدروس حفظتها منذ أن سمعتها من لأستاذ اول مرة ، المهم في القصة ، عندما ذهبت للامتحان ذاهب إما لأغش و إما لأرسب ، فأنا كنت متأكد تمام التأكد أنني سأرسب أو لا أعرف شيئاً من لأسئلة ، و لكن ياللعجب !!!؟

كل لأسئلة من أول ثلاث دروس !!؟؟؟؟ عدا سؤال واحد كان عن الثورة المعلوماتية !! هل هذه معجزة أم مصادفة ؟!!!!! حتى يومنا هذا لا أجد لما حدث في ذلك اليوم أي تفسير. ، مالذي يحدث ؟!! كيف ؟!!!! هل أرادت الوزارة ضرب الطلاب و أتت بأسئلة لا أحد يتوقعها ؟!!! حقاً لست أدري و كلما أفكر في الموضع يؤلمني رأسي من شدة الحيرة !!!! .

على أي حال ، جاء يوم الكيمياء و بينما أنا أكتب على الورقة لامتحانية و أقول لنفسي : حسناً دقائق و أنتهي من الكابوس الذي اسمه البكالوريا ، اليوم آخر يوم ، لا ترسب يا موسى ، و أنا أقول لنفسي : بعد قليل لن تعد طالب مدرسة بل طالب جامعة و ـ ـ ـ إلخ مع كل هذا التوتر ، دخت و أصابني الغثيان ، و بدأت أشعر بالدوار و لكن مع ذلك ،يدي أكملت في الكتابة ، و لست أعرف كيف صمدت و أجبت ، و خرجت فرحاً من امتحان الكيمياء سعيد و كتبت كتابة ممتازة (حيث حصلت فيها 199 من 200) و انتهيت من المدرسة أخيراً ، حتى ظهرت النتائج و حصلت على

213.6 من 240 و هو بالطبع ما يرشحني بدخول كلية العلوم قسم الفيزياء و هو ما كنت أتمناه و زالت عندها كل مخاوفي أنني لن اتمكن من دخول كلية العلوم !!!!! .

في الصيف :

أكملت بحوثي الفلسفية بشدة ، فلم أترك كتاباً فلسفياً إلا قرأته و لا كتاباً تاريخياً إلا فصفصته ، كان نظام يومي قائم على ، أستيقظ صباحاً أبقى على القراءة هكذا حتى النوم و لا أخرج من الغرفة إلا للطعام أو الحمام (تخيل 16 ساعة في اليوم قراءة و دام هذا الوضع بالطبع من الشهر 6 حتى الشهر 9 و لم أكن أفتح أنترنت إلا ثلاث ساعات في لأسبوع من أجل تحميل الكتب !!) و لم تكن أرى ماذا يوجد خارج المنزل بل لم أخرج من المنزل إطلاقاً ، بل قرأت الكثير جداً جداً من كتب الفلسفة و المنطق و التاريخ و الأديان و الإسلاميات و المقالات ، و توسعت مداركي كثيراً و كانت هذه الفترة التي ألفت فيها كتاب " البحث عن الحقيقة " و بعض المقالات الأخرى ، و لكن اطلاعي على الفيزياء و الرياضيات كان ضئيلاً جداً ، فقد مشيت على سلسلتين ، ان أقرأ كتب الفلاسفة كل فيلسوف على حدى (كتب ديكارت ثم كتب لوك - الغير متوفرة على لأنترنت - و كتب هيوم - كتابان بالضبط و كتب هسرل و كتب باشلار و كتب رسل و كتب كنط و - - إلخ) و أقرأ تواريخ البلدان و الثقافات (بدأت بالموسوعة الموجزة للتاريخ لإسلامي و المفصل في تاريخ العرب قبل لإسلام د جواد علي و البداية و النهاية و الكامل و تاريخ الطبري و تاريخ أوروبا في العصور الوسطى موريس بيشوب و تاريخ أوروربا من الثورة الفرنسية متى الحرب العالمية الثانية و - - - هذا ما أتذكره فقط) و قرأت معظم أعمال عبد الرحمن بدوي و محمد باقر الصدر و

الخميني و يوسف كرم و الكثير غيرهم فيما يخص الفلسفة و التاريخ و لأديان لإسلامي على وجه الخصوص و بدأت لاطلاع على الشيعة من خلال حوار ليالي بيشاور و قد كانت نصيحة من شخص شيعي تعرفت عليه عند مرقد الحسين حيث كان يعتكف ، كما أعدت قراءة كتاب حنا فاخوري في تاريخ لأدب العربي و نزلت برنامج ديوان العرب (فيه 90 ألف بيت و ٧ آلاف شاعر ربما) و توسعت قراءتي بشكل غير معقول ، و خارج عن الطبيعي و كان ذلك أثراً سلبياً للغاية علي .

الحياة البائسة :

اضطراب نفسي رهيب أصابني ، حيث نومي أصبح صعباً للغاية و لأرق لازمني كثيراً و كان يصيبني ذعر شديد من فكرة أنني لن أنام ، يأس و كآبة شديدين ، كان اعتقادي أنه لن يسعدني أي شئ في هذه الحياة أبداً ،و الحزن و الملل لازماني بشكل غير طبيعي ، حتى ذهبت إلى الصيادلة أبحث عن أدوية نفسية و أدوية لعلاج الأرق (حيث أخبرني أحد أصدقائي الصيادلة أنه عندما أصبح طالب جامعة و أعود من المحاضرات سآتي و أنام مثل الجاموس و قد صدق !!!!) و قد صاحبني يأس مرير و وحدة (شعور أنني وحيد) بشكل لا يصدق ، فلا أصدقاء لي (هذه ظاهرة كانت عندي منذ الصغر) و لا إخوة يفهموني و كنت أشعر أنني غريب عنهم (هذه الظاهرة حلّت فيما بعد و نحن خوش بوش لآن) و علاقتي شديدة السوء بأهلي (أبي و أمي) بشكل لا يصدق (و كانت سبب المشاكل على الغالب بسبب لساني الطويل و بساطة أهلي) و متوتر كل الوقت ، ليس هناك من أحدثه و لاهم يحزنون ، لذا قررت أن ترك قبر الكتب و لأوراق و أخرج إلى العالم الواقعي ، عالم الشمس و لأشجار و الشارع و السيارات ؛ لكن إلى أين ؟؟!!

عند من ؟!!! ماذا سأفعل ؟!!! أنا ليس لي أصدقاء و لا أعرف أحد ، و إن خرجت من المنزل (بمرات عديدة) فكان إلى مستشفى ابن النفيس بسبب وسواس عندي بأنني مريض و بأنني أعاني شيئاً خطيراً فيبان أنه لا أعاني من شئ إنما أنا سليم !!! .

عندها قررت أن أمارس الرياضة ، أن أركد من مشفى ابن النفيس إلى ضريح الشيخ محي الدين ابن عربي ، لأستريح من الجري في ساحة الميساة ، و كان هذا روتين عندي أيضاً ، كنت أستيقظ عصراً ، و انزل لأجري ، و كنت آخذ معي قنينة من الماء ، لأركد من استراد ركن الدين حتى نادي الجيش مروراً بالسبع بحرات حتى ساحة الميساة و أستلقي على العشب ، ثم فيما بعد أذهب مشياً إلى ضريح الشيخ محي الدين ابن عربي لأجلس في ذلك المسجد الجميل (حيث الصريح الفخم و لأعمدة الجميلة و البحرة التي في المنتصف و تجمع الناس و ـ ـ ـ إلخ) ثم أمشي إلى مسجد أبو النور لأجلس قليلاً ثم أعود مشياً إلى المنزل ، على الرغم من بساطة الروتين ؛ إلا أنه كان يحمل طابعاً لذيذاً جداً. ،الرياضة جلبت لي سعادة غير متوقعة ، سعادة هكذا بدون سبب و لست أدري كيف أوصفها ، و أنا أجري أرى امرأة تجر عربانة فيها طفل ، و أرى عائلات في سيران و اطفال يلعبون في الشوارع و الدنيا على وجه المغربيات ، و الناس في كل مكان و اضواء الشوارع البرتقالية تبدأ بالإضاءة ، و أنا معي قنينة من الماء بيدي أستريح كل شوي ، حتى أصل إلى الجنينة ـ الحديقة و أستلقي بين العائلات التي خرجت للسيران على مغربيات الصيف الجميل ، و يضرب لأذان صوته في سماء دمشق مما يزيد الجو زينة و جمالاً ، فهذا الذي يؤذن على مقام الحجاز و هذا الذي يؤذن على مقام الصبا و هذا الذي يؤذن على العجم و ـ ـ ـ إلخ .

كنت أشعر بشئ غريب ، ملل جميل و كآبة لذيذة ، يعني لا يوجد أي شخص في حياتي ، و لا احدث أحداً إنما أستغرق معظم يومي في المشي و التفكير و كان هذا مصدر الملل و كنت بنفس الوقت أحرك جسمي و أرى أجواء جميلة و أناس كثر فأحس بشعور جميل لا أعرف كيف أوصفه ، كنت أشعر بكآبة كوني وحيداً لكن كنت ألتذ بالرياضة و رؤية الناس و العودة للمنزل و مشاهدة المسلسلات السورية القديمة.

لكن مشكلة أخرى ظهرت عندي ، و قد بلغت ذروتها خصوصاً بعدما انتهى رمضان ((قد يسألني أحد هل صمت أقول نعم لأنني كنت معتاداً على القليل من الطعام لم أفطر إلا أواخر لأيام - طبعاً دون أن يشعر أحد - لأنني أوقفت الكثير من الروتين !!))

سيدي الكريم بعدما انتهى رمضان ، و دخل العيد و أنا كالعادة ذهبت لأمشي وحيداً ، في منطقة مساكن برزة ، حيث رأيت الكثير من الفتيات ، هذه التي تلبس كنزة (نص كم) و هذه التي تلبس حجاب سبور لكنها جميلة جداً ، و هؤلاء (لست أعرف ما هو مؤنث هذا الضمير) اللواتي يضحكن في المقهى و لأركيلة في أيديهن ، و من الشابات الجميلات من تجلس في الجنينة و تضحك مع صديقاتها ، هنا لم أتحامل نفسي ، ربما اقتربت من ذلك الجنون الذي يسمونه " جنون العنوسة " ، فلم أتمالك نفسي حتى صرت أجلس بالقرب من كل تجمع فيتات ، أقطع المسافات و أنا ألحق فتاة ، أمر من جانب أي فتاة علها تقول لي مرحبا ، أذهب إلى بيت أقاربي علي أتحدث مع تلك التي تكبرني 12 سنة ، و هنا يكمن الضرر الكبير الذي خلفه الزهد على نفسيتي !!

لقد صنع مني وحشاً محروماً من كل شئ !!! من الطعام و من الصحة و من الفتيات ، لقد تضررت نفسيتي كثيراً و امتلأت

اضطرابات ، فصرت أتخيل و أحلم بفتاة وهمية أحبها و تحبني و صرت أتخيل أصدقاء معي يحبونني و موجودين معي في كل مكان ، و كنت شديد الخجل و الخوف من فكرة أن تطردني فتاة ما ، كانت بالنسبة لي مخلوقاً فضائياً لا يمكن الوصول إليه ، و ربما هذا بسبب الحواجز و الهواجس التي وضعها مشايخنا و التضخيم بمسألة المرأة و لاختلاط ، " هذا النقص و الحرمان و لاشتياق الرهيب للأنثى الذي عانيته يعانيه شباب المسلمين أعظمهم !!!! هذا بسبب خيالاتهم الكثيرة عن المرأة المغوية و ما اجتمع رجل و امرأة إلا و الشيطان ثالثهما و ـ ـ ـ إلخ " هكذا قلت لنفسي حينها ، و صرت مثل الذئاب التي تجري و تنتظر فريستها ، و ازدادت شهوتي الجنسية أضعافاً مضاعفة ، و صرت أرى منامات من الطراز الفروديدي و الكينيزي و الفيكيوي (من فيكو) و من كل ما يراه لإنسان عندما يكون تفكيره محصور بموضوع ما ، لأمر أثر عليي كثيراً و هو أكثر موضوع أثر علي في كل حياتي (و ربما عندما أصابني وسواس من لأرق عندما كنت في الصف التاسع ، و ظننت أنني لن أنام مدى الحياة ، و شغلت العائلة كلها بقصصي ، حتى تبين لي أنني كنت أتوهم ، إذا أنني كنت أستيقظ من النوم خائفاً و أنام خائفاً ، من ماذا ؟!! من لأرق يا رعاك الله !!!!؟) .

على أي حال ، تجرأت وقتها و قلت يجب أن اختلط بالبنات ، يجب أن احب فتيات و أتعرف ، لا يجب أن أبقى متوتراً هكذا ، الخيالات لا تفارقني و التفكير لا يبرح عني ، و أي فتاة أراها أتعذب عندما تبتعد عني !!!! (و لكن عندما اختلطت لاحقاً ذهبت كل هذه الأعراض ، و هو ما يكذب نظرية إنّ اللذة تطلب المزيد ، بل عندما تشبع حاجة لإنسان من شئ لا تطلبه مرة أخرى ، فعندما تكون جائعاً تظن أنك ستدمر العالم من أجل صحن البطاط و لكن

عندما تشبع ترفسه بقدمك !!!! ؛وهو بالضبط ما حصل لي عندما اختطلت كثيراً بالفتيات !!) .

على أي حال : بدأت المفاضلة ، و سجلت رغباتي كالتالي :
فيزياء - رياضيات - كيمياء - فلسفة - تاريخ .

أذكر أنّ طالبة الهيئة التي تسجل الرغبات نظرت إليّ نظرة و كأنها تقول " أنت يا مجنون يا أحمق !!! " و سألتني " هل أنت متأكد ؟! هل أنت جاد ؟! " قلت لها " نعم و بالتأكيد !!! "

وعدت إلى روتيني اليومي العتاد من ممارسة الرياضة و القراءة البسيطة ، و الكلام القليل البسيط مع أخوتي و مشاهدة المسلسلات.

حتى ظهرت نتيجة المفاضلة الثانية : نعم و بلا مفاجئة لاختصاص الذي كنت أحلم فيه لسنوات بات لآن اختصاصي ألا وهو ((الفيزيا)) .

أيام الجامعة :

ذهبت إلى الجامعة لأتأكد أنّ المفاضلة الثانية نزلت ، و لكن في طريق الرجعة إلى المنزل (و على ما أذكر كنت عائد مشياً) نزلت المفاضلة ، و ياللهول !!!! من دون أي مفاجئة ، اختصاصي الجديد لآن هو الفيزياء ، صرت لآن طالب في كلية العلوم قسم الفيزياء ، هذا ما سبب لي فرحاً كبيراً في ذلك الوقت .

و لكن لم أكن أعلم في أي يوم يبدأ الدوام ، وظللت في المنزل أسبوعاً كاملاً بعد المفاضلة ، حتى خطر على بالي و أردت النزول إلى الجامعة من أجل أن أسألهم متى يبدأ الدوام ، و أنا نازل من

عند الفرن العسكري ، التقطني عسكري من فرع السياسية أيام النظام يريد أن يفيش لي ، صففت مع باقي الشباب مثل الغنم و الهويات مع العسكري ، خرج الضابط و معه الهويات فقال " مين طالب جامعة !!؟؟ " فرفعت يدي مع اثنين بجانبي ، فأعطانا الهويات و قال اذهبوا !! ، بعد فتح سير و سوالف مع هذين الشابين تبين أنهما طلاب اقتصاد سنة ثالثة ، و ركبت معهم في السيارة ، و سألتهم الكثير من لأسألة عن الجامعة و الدوام و ـ ـ ـ إلخ ، كنت آنذاك متحمساً أشد الحماس لدراسة الفيزياء ، الفرع الذي سأدرس فيه النظرية النسبية و ميكانيك الكم و الفيزياء الفلكية (كما كنت أظن !!! لكن جامعاتنا السورية لا تدرس ات الفلك و لا الجسيمات !!!!) ، ما إن وصلت للجامعة حتى أخبروني أنهم بدأوا الدوام من أسبوع !!!!!! ؛ ياللهول ، امتلأت رعباً و خوفاً و لبكةً ، لأنّ الكثير من الدروس ضيعتها ، كنت أظن أنّ الجامعة مثل الباكلوريا ، كل درس بدرسه ، و شرعت أسأل طالب هيئة (من نمرتهم و شاكلتهم) عن أنني كيف سأعوض لأسبوع الذي (راح عليي) أي الذي لم أحضر فيه ، فقال لي " تستطيع أن لا تداوم , فقط أحضر عملي " و الحمد لله أنني لم أسمع نصيحة هذا لأحمق ، تخرجت أنا و هذا إلى لآن سنة ثانية !! ، على أي حال ، دخلت إلى مدرج أول كيميا ، و كانت د علا إسبر تعطي جبر مجرد أي نظرية المجموعات و الزمر ، و أنا قبل أشهر كنت طالب بكالوريا ، اصعب شئ كنت أعرفه هو دراسة التابع اللوغاريتمي ، و لما رأيت الزمر و الفئات و المجموعات و الجداء الديكارتي و العلاقات المنعكسة و المتعدية و ـ ـ ـ إلخ جن جنوني و ركبي اليأس ، خفت كثيراً ،لم أفهم شئ على الدكتورة علا ، و لكن على أي حال ، تأقلمت مع لأجواء هناك ، و بدأت الدراسة كل درس في درسه ، مثل طالب الباكلوريا تماماً ، و لكنني عانيت بشدة في فهم الجبر المجرد و نظرية المجموعات بينما وجدت سهولة بالغة في فهم الهندسة التحليلية و هذا ما زاد إعجابي بديكارت أضعافاً مضاعفة ، وجدت أنّ الرجل

ليس فقط بارعاً في الفلسفة بل إنه محترف رياضيات في الحقيقة !! ، دخلت الجامعة و أنا كالمجنون و غريب لأطوار (ربما بسبب قلة خلطتي للناس و لسنين طويلة) بينما أنا أشرح للطلاب التجارب في العملي ، و أعلن عن إلحادي ، و أطرح و أشارك مواضيع فلسفية قلما من يتطرق إليها أو من يهتم فيها ، كنت آذاك أؤسس لمذهب فلسفي أسميته بالمذهب الظاهري ، و هو خليط من الديكارتية و الهيومانية و الظاهراتية (مذهب هسرل و باشلار) و التيمية (من كتاب ابن تيمية الرد على المنطقيين) و عموم كتب أصول الفقه ؛ كان المذهب من الناحية لاستبمولوجية يقوم على أنّ المعرفة تقوم على التجربة و العقل و العقل عندي قوانين بديهية قليلة غير قابلة للشك و هذه القوانين هي نفسها قوانين الفكر (الذاتية ؛ العلية ؛ عدم التناقض) و رأيت أن المعرفة تقوم على القيام بالتجربة و دمجها مع قوانين البديهيات لتنتج لدينا المعرفة اليقينة ، و قوانين البديهيات قابلة للاشتقاق ، مثلاً رأيت أننا نشتق من قانوني الذاتية و عدم التناقض ، قانون الخصوص و الشمول ، و الذي يقول عندما نقوم بتجربة فإننا نقوم بقياس كميات صفاته ، و المعرفة لا تتم إلا عن طريق معرفة مقادير الظاهرة و هذه المقادير تحدد الكيفيات التي عليها الظاهرة (أسميت هذا القانون ب قانون اتحاد الكمية بالكيفية أو بعبارة أخرى الكيفية ماهي إلا الوجه الموجز للكمية) و لكن عندما نعرف ظاهرة ما فإن ذاتيتها تحدد ب صفاتها ، و عندما ندرس صفة ما من ناحية ما لظاهرة ما ، فإنّ النتائج التي نحصل عليها هي نفسها لكل ظاهرة في الكون ندرسها لنفس الصفة من نفس الناحية بثبات باقي الشروط (العموم) و هي حصراً دراسة صفة من ظاهرة و بثبات شروط مخصوصة (الخصوص) و اسميت هذه القاعدة ب " الخصوص و الشمول " لنقل مثلاً نريد دراسة كرة ثلجية تطير في الفضاء ، نحن قد درسنا الكرة من حيث هي شكل هندسي من عدد من الكرات التي نلاحظها في التجربة فنعممها على كل كرة في الكون من حيث الشكل

الهندسي (من حيث المساحة و المحيط و المعادلة الديكارتية للشكل) و كرة الثلج هذه تنطبق عليها هذه القاعدة ، و نحن درسنا عدد كبير من المواد الثلجية في الكثير من لأمور التي نختبرها و منه النتائج التي نختبرها نستطيع تعميمها على كل مادة ثلجية من حيث هي مادة ، و منه الكرة الثلجية تنطبق عليها هذه النتائج بكونها ثلجاً ، و هكذا قس على باقي الصفات ،و منه و بهذه الطريقة (الخصوص و الشمول) نستطيع معرفة كل شئ عن الكرة من دون أن نذهب و نختبرها بأنسفنا ، و بهذه الطريقة فقط رأيت مبرراً للاستقراء و المعرفة و العلم ، و هناك نواحي كثيرة في المذهب مما ذكرته في كتابي الضخم (البحث عن الحقيقة) الذي هو في الواقع أكثر من ١٠ كتب مدمجة في كتاب واحد و استغرق تأليف المذهب سنين طوال ، على أي حال ، دون الغوص في التفاصيل ، كانت اهتماماتي في السنة لأولى هي فيزيائية رياضية استبمولوجية ميتافيزيقية بحتة ، فلم أكن أهتم بالعلوم لاجتماعية و لإنسانية بتاتاً ، و لكن قصة جعلت لأمر يتغير تماماً .

قصة الحب الوحيدة التي عشتها :

في الحقيقة و بسبب الحرمان الذي عشته في المراهقة و توقي الشديد للجنس لآخر ، لم أترك بنتاً في الجامعة ، محجبة و غير محجبة ، قصيرة و طويلة ، صغيرة و كبيرة ، جميلة و قبيحة ، إلا و أردت أن أصادقها و أتعرف عليها و اذا استطعت أن أحبها لا مشكلة !!!!؟ و هذه حقيقة يشاطرني بها الغالبية من شباب المسلمين ممن لا يلتزم عند مشايخ و أجواء دينية طوال الوقت ، على أي حال ، حاولت جاهداً أن ألفن نظر أي فتاة بأي طريقة كانت ؛ بالعلم بالحركات بأي شئ ، عسى و لعل أحدث هذه المخلوق الفضائي ، و لكن و مع ذلك ، و كشخص يقرأ للفلسفة ، يفكر دائما لا ينقاد كلياً

للغريزة و لا للرغبات ، كنت شديد التوازن بالرغم من الرغبات التي كانت مكبوتة لدي ، فلم تسلم من عيني أي فتاة في ذلك الوقت ، ولكن فتاة رأيتها كانت أجمل فتاة رأيتها في حياتي ، تلبس مانطو أسود طويل و محجبة و تلبس النظارات لفتت نظري بشدة ، و كنت أشعر أنني لفت نظرها ، و تمنيت لو مرة أن أحدثها و تحدثني أو حتى أعزمها على مشوار (أجل لقد كنت طنبر !!!!!) ؛ لقد بدأ لأمر نظرات لا أقل و لا أكثر ، أعجبتني إعجاباً شديداً ، و هي بالذات ، التي تمنيت أن تصبح حبيبتي الصراحة ، حتى لو وصل لأمر للزواج و العلاقة الجدية ، و لكن ، المرة الوحيدة التي تجرأت فيها ، مشيت خلفها فقط ، و نظرت إلي بطرف عينها ثم خرجت و انتهت القصة .

و مع دخولنا زمرة العملي ، دخلت إلى مخبر كان مليئاً بالطاولات و الكراسي عليها أدوات للتجربة ، و كان الجو صيفاً هادئاً و جميلاً ، دخل الطلاب السنافر إلى قاعة المخبر (العملي ١) و دخل بعدنا أمين المخبر المغرور لأحمق الذي يمشي و كأنّ لأرض لا تحمله (يا أرض اشتدي محدا قدي) و أمسك بورقة عليها أسماء الطلاب الذين في الفئة ، و شرع ينادي و يخبر كل طالب برقمه ، فنادى و نادى اسماء الطلاب و الطالبات ، فقال " موسى الموسى " قلت له " حاضر " قال و القرف يملأ صوته " بتعرف قديش رقمك ؟! " قلت " لا !!! " فقال : رقمك 10 ؛ ثم نادى و نادى و بعد عدد من لأسماء قال : غنى الفلانية !! ، فسمعت صوتاً بناتياً جميلاً و لذيذاً و قد ارتعشت و ارتجفت لسماعه (و أنا هنا لا أبالغ بل ربما بسبب سنين الحرمان في المعهد و المجتمع !!).فلم أتمالك نفسي و نظرت إلى فتاة تلبس حجاباً أبيضاً و نظارات دائرية خفيفة كأنها غير موجودة ، تلبس كنزة صفراء قصيرة و بنطلون جينز عريض لونه أقرب السماوي و كانت هذه الفتاة شديدة البياض لدرجة غير معقولة ، و عيونها ذو لون بني ، فنظرت إلى سواد عينيها و

نظرت إلي و ازدادت لبكة و خجلاً و ضحكة ، وضعت أصبعها في فمها من الحياء و لم تعرف كيف تقول اسمها و لم تحسن أن تكلم الأستاذ و عيونها عليي و أنا جمدت بأرضي صراحة !!!! كان موقفاً غريباً أثر بأعصابي و جسمي تأثيراً رهيباً و هي ارتبكت و عيونها على عيني و هي تحدث أمين المختبر الأحمق (بتحسو هاد جايي من حديقة الجلاء) و من هنا بدأت كل القصة ، خرجت من المختبر و أنا أفكر في هذا الحادث ، عدت إلى المنزل و أنا أفكر في هذه الفتاة ، نزلت ثاني يوم و أنا متحمس للفيزياء أولاً و لهذه الفتاة ثانياً ، و كان الحب الذي أتمناه هو الحب من الطراز الجبراني مثل الحب الذي وصفه في رواية لأوراح المتمردة ، أو الحب من الطراز الحزمي الذي ذكره ابن حزم في كتاب طوق الحمامة ، أو حتى حب مجنون ليلى ، و كنت متأثراً بشدة بالرومانسيات و الزهديات و المثاليات المسرحية و الخيالية ، و عندما كنت أجلس على الكرسي الذي أمام المدرج (لضعف بصري) جاءت نفس الفتاة باتجاهي و أنا صعقت تماماً ، تحمل كتاباً لمادة الضوء الهندسي و قالت بصوت منخفض جداً " هذا الكتاب عندي نسخة أخرى منه و ـ ـ ـ ـ " قالت كلاماً لم أفهمه بسبب صوتها المنخفض جداً ، أخذت الكتاب و سألتها قبل أن تذهب " ماهو اسمك يا فتاة " قالت : غنى ؛ قلت : اسمك جميل يا غنى كله غنا ، و هنا شعرت و كأنّ بزاقة ذابت أمامي !!! ؛ و فيما بعد ، بعد يوم واحد ، ذهبت إليها و طلبت مواعدتها ، فشعرت أنها فرحت ، ليست هي وحدها ، بل كل صديقاتها و لست أدري لماذا ؟!!! ثم خرجنا و تنزهنا و اعترفت لها بالحب و صرنا عشيقين ، و لكننا كنا عشيقين من الطراز المعاق بكل ما تعنيه الكلمة ، يعني هي تدوخ و أنا أصفن ، هي تغار غيرة شديدة علي و أنا لا أستطيع أن يمر يوم دون أن أكلمها و ـ ـ ـ ـ ـ دون لإطالة في الموضوع ، جائها عريس من المانيا ، فخطبته ثم تزوجته و سافرت إلى هناك ، أما عني أنا ، فمن موتاً بطيئاً و تعذبت عذاباً شديداً و تألمت ألماً

كثيراً و قتلت كل سعادة في حياتي ، و أعيش في اكتئاب و ضعف في الثقة ، و ماتت كل لأحلام الوردية و القيم الرومانسية و لإنسانية الجبرانية التي كنت أؤمن بها ، هنا بدأت أتسائل أسألة ذات طابع وجودي اجتماعي سياسي و اقتصادي :

لماذا تركتني ؟! لم هو و ليس أنا ؟! هل لأنه أكثر مالاً ؟!!! هل صاحب المال لأكثر يعيش الحب و السعادة كيفما أراد ؟!!! لماذا هو معه و أنا لا ؟!! ما المنظم لاجتماعي للأعراف (مهر ؛ عرس ؛ زواج ؛ تقاليد ؛ ـ ـ ـ إلخ) و ما الناظم لاقتصادي بين لأفراد ؟!

و بتساؤلات كثيرة و كثيرة قررت أن أبحث كثيراً في المجال الاجتماعي الذي كنت أبغضه و أقرأ في لأنثوبولوجيا و فلسفة لأخلاق و القانون و علم لاقتصاد و علم الاجتماع و ـ ـ ـ إلخ و قرأت فيها الكثير ، و بسبب غنى قرأت الكثير و الكثير في لأمور التي تنظم سلوك الفرد و المجتمع ، و بسبب غنى تفتح ذهني عن مشاكل البلوروتاريا في كل أنحاء العالم و أدركت معنى لاستغلال ، و بسبب غنى قرأت الكتب ضد لاستغلال و الديكتاتورية مثل طبائع لاستبداد الكواكبي و كتب منصف المرزوقي و كتب جون لوك و غيرهم كثيرون ، و بسبب غنى غصت في الحب منشؤه و معناه و أهمتيه و ـ ـ ـ ـ إلخ و تغيرت فلسفتي كاملة و صارت تمشل مشاكل لأسرة و التعليم و العمل و المجتمع ، حتى أذكر أنني اسست فلسفة أطلقت عليها فيما بعد اسم " لإنسانية " متابعاً لمدرسة أوغست كونت و جليفود في الإنسانية و مؤيداً لنفعية بنتنام و جيمس و أداتية دوي و تحليلات و حلول رسل في كتابي " السلطة و الفرد " و " المجتمع البشري " من حيث فظاعة الحرب و أهمية الحكومة العالمية و ـ ـ إلخ .

على أي حال ، بعد غنى دخلت عدد من العلاقات غالبها من الطابع المخزي و السيئ و المخجل صراحة ، و لكن استفدت منها كيف أتعامل بشكل صحيح مع لأنثى ، و استفدت منها كيف ألا أحب من

أول نظرة لأنها تهلكة ، و تعلمت منها أن ليس كل فتاة أتكلم معها يعني أنها ستصبح زوجتي ؟! و فهمت و حللت عقلية لأنثى بشكل جيد و استطعت أخيراً أن أتعامل مع هذا المخلوق الغريب دون أوقع نفسي بمشاكل أو أظهر بشكل مخزي .

لكنني بعد غنى و بعد بعدها ، عانيت الوحدة بشكل رهيب ، و رهاب الوحدة عاد لي و بشكل أقوى في السنة الثانية ، فكان 99,9% من يومي أقضيه وحدي ، في المنزل في الجامعة في الشارع في ـ ـ أي مكان و في كل مكان ، هنا تمنيت أصدقاء أو عائلة و لم أتمنى حبيبة ، لأنني قرفت هذا الصنف لأخير صراحة ، على أي حال ، بينما أنا في المنزل ، وضعت إحدى الفتيات ممن ارتبطت بهنّ في السابق حالة على الواتس (أنا رحبت أنا ما خسرت ، اربحت اني ما كنت موجهنة و منافقة و ـ ـ إلخ) هنا شعرت بأنّ الحالة تخصني ، لأنّ بعض هذه الصفات تخصني للصراحة ، فأردت وضع حالة أرد على هذه الحالة ؛ فقلت أضع بيت شعر قلت بالتأكيد لا أحد سيقرأها ، أضع مقالة ؟ قلت : لا !!! هذا لأمر روتيني للغاية ، فيما بعد أمسكت ب الأناجيل (العهد الجديد) و فتحت صفحة لاعلى التعيين لأقتبس منه حالة ، فوقعت يدي على الإصحاح الخامس عشر من انجيل يوحنا ، بينما أنا أكتب هذه الكلمات (ليس لأحد أعظم من أن يضع نفسه من أجل أحباءه ـ ـ ـ ـ هذا ما أوصيكم به أن تحبوا بعضكم بعضاً) فتعلقت بهذا الكلام تعلقاً شديداً و أحببته للغاية. و قررت أن أقرأ الأناجيل كاملة (من متى حتى يوحنا إلى رسائل بولس و رحنا و بطرس و يهوذا و يعقوب و رؤيا يوحنا اللاهوتي) و عندما قرأته أحببت كثيراً ما قرأت ، خصوصاً العبارات من قبيل (أحبوا بعضكم بعضاً) و (أحب إلهك من كل قلبك و من كل نفسك و أحب قريبك مثل نفسك) و (أحبوا أعدائكم) و (لا تدينوا كي لا تدانوا) و (أيها المرائي أخرج الخشبة التي في عينك أولاً) و (اجعل يدك

اليسرى لا تعلم ما تعطيه يدك اليمنى) و الكثير من هذه العبارات لأخلاقية ، فتعلقت نفسي بالمسيحية تعلقاً رهيباً لكن دون أن أعتقها ، لكنني نسيت القصة فيما بعد و لم أبديه اهتماماً جدياً.

بقي لأمر هكذا حتى خطرت لي فكرة مجنونة و غريبة ، فبناء على مبادئي التي وضعتها في كتبي (الذات لا تصدر إلا ماكان منها مثل النار لا تصدر ماء إنما تصدر فقط نار) فقلت أنا وعي ، و وعييي لا يمكن أن يصدر عن مادة ميتة إنما يجب أن تصدر على وعي و لا يمكن لسلسة لانهائية من مصدرات الوعي أن توجد ، بل يجب أن نصل إلى كينونة واعية أصدرت كل وعي في العالم ، و بسبب جهلي في البيولوجيا و علوم لأعصاب ، أقنعت نفسي بهذا الكلام ، فأرسلت لأخي رسالة ورقية عندما كان يقنط في اللبنان أحدثه عن هذه المشكلة المستعصية التي لا أجد لها حلاً ، و رجحت أن يكون هناك روحاً في جسد لإنسان مسؤولة عن وعيه ، هنا آمنت بوجود كينونة عظمى واعية ، و هذا ترك فيني أثراً إيمانياً و حولني إلى لاأدري متذبذب أقرب ل الربوبي بدلاً من لإلحاد الذي تعايشت معه لسنوات ، لكن و بسبب عودتي للقراءة في العهد الجديد و فهمه بشكل أفضل من ذي قبل (و لكن مع ذلك كنت سطحياً لدرجة غير معقولة من السذاجة في فهمه و قرائته ، ظننته كتاباً للديمقراطية و الحرية و ـ ـ مما كنت أؤمن في السابق ؛ باختصار أسقطت رغباتي و المثاليات التي كنت أؤمن بها على كلمات العهد الجديد) ، حتى اعتقنت اليسوعية ديناً و مذهباً و عقيدة و محبة و فلسفة ، لكنني كنت معزولاً عن أي تجمع مسيحي أو كنيسة مع أنني كنت أتمنى ذلك لكنني كنت أخشى ذلك خشياناً عظيما .

و الذي تمنيته أيضاً أن يكون عندي العهد القديم بسبب استشهاد المؤلفين لأربعة و بولس كثيراً بآيات من العهد القديم ، لأمر الذي

جعلني أبحث بشدة و أتوق لإيجاد عهد قديم (و في ذلك الوقت لم يكن الذكاء الصناعي متوفراً ،ظهر بعد ذلك ب أربع سنين) و لكن ياللمفاجئة!! عندما طلعت على سطح المنزل المليئ بالردم من مخلفات الحرب وجدت كتاباً غلافه كروتوني سميك مطعوج قليلاً و عليه زخاريف غريبة ، فتحته فوجدت عليه (قال الرب لإبرام) و عبارات مثل (ثم ذهب نوح ـ ـ ـ ـ ـ ـ لهذا أسميك إسرائيل ـ ـ ـ قال الرب لموسى ـ ـ ـ) يذكر أسماء لأنبياء و قصصهم لكنه ليس قرآناً و لا كتاب تفسير لأنه لم يذكر كلمة الله واحدة إنما الرب فقط ، و لا توجد أدنى ذكر لمحمد أو يسوع ، ياللهول !!!! إنه العهد القديم ، كيف ذلك ؟!! منطقة مثل حي تشرين ليست منطقة مسيحية و لا يهودية (سوريا كلها لم يكن بها يهود آنذاك) و أهلها فقراء جداً و معدمين و لا يوجد بها سوى سنة و علوية (لنقل فقراء السنة و العلويين حيث هؤلاء لأخيرون دائماً فقراء و معدمين) هنا ظننت أنها معجزة أو لنقل رجحت ذلك و وضعتها بمرتبة الفرضية المحتملة .

نزلت بالكتاب ، و قرأته بشغف حتى أنهيته و أثر بي (و هنا أنا متأكد على أنني كنت أقرأ أفكاري و ألبسها هذه الكلمات ؛ فالعهد القديم فظيع إلى درجة غير معقولة) و اعتنقت المسيحية كفلسفة روحية و فرضية علمية مقبولة (ابتداء من نظرية الوعي و العاطفة التي تدل على شئ ما ، و عدم كفاية التجربة و ـ ـ ـ إلخ) يوماً وراء يوم ، آمنت بالمسيحية سلوكاً و عملاً ، عقيدتاً (عقيدة) و إيماناً ،وانت أكثر آية تؤثر فيي قول يسوع لتوما (أريدك مؤمن يا توما ليس غير مؤمن) و كنت أشعر أنّ هذا الكلام موجه إليّ ، و لكن ، بعد قراءة لبراتراند رسل (لماذا لست مسيحيا) و كتاب نيتشه (عدو المسيح) و كتاب لويس جيبر (تاريخ المسيحية) و عدد من المقالات لأخرى ، تركت المسيحية نهائياً لأصبح لاأدرياً ثم ملحداً مرة أخرى ، و لكنني مررت بفترات طويلة من التأملات

و التفكير الهادئ و الموضوعي دون مؤثرات أخرى ، كما أنني كنت أتردد على كنيسة كاثوليكية لأسأل فقط لا لأمارس طقوس العبادة (فلم أستطع يوماً أن أمارس طقساً للعبادة ، حتى بعز إيماني كنت أشعر أنها حماقة ، ماذا ستفيد هذه الحركات ؟؟!) و لكن مرت السنة الثانية بهدوء. , سنة وحدة و وقت فراغ كبير بالنسبة لي ، وقت حزن و صدمات و اكتئاب و تذاكر لغنى و أمنية في أن يصبح عندي أصدقاء أو أسرة. ؛ و كنتيجة لهذا الاكتئاب ، و لهذه الأيام الصعبة و الصدمات و الحزن الشديد الذي عشته ، أصبت بالقولون العصبي ، و بدأت في الصيف بين الثانية و الثالثة في لاطلاع على علم النفس النظري من كتاب (نظريات التعلم عدد من المؤلفين دار المعرفة الكويتي أذكر فؤاد زكريا أحد المراجعين في الكتاب) و بدأت قراءة نيتشه و الفلسفة الوجودية (من كتاب دراسات في الفلسفة الوجودية بدوي و الوجود و العدم سرتر ترجمة بدوي و موسوعة الفلسفة بدوي و الزمن الوجودي بدوي و مع اطلاعي الكثير على كتابات هسرل المهم في فهم الفلسفة الوجودية) و لكن بدأ يحدث أمراً غريباً.

المرض النفسي و لاختلال الحياتي :

مرة في أحد لأيام ، شعرت بأنّ ضيقاً يعتريني ، ربما أنا مصاب بمرض خطير ، ربما سأموت اختناقاً ربما أنا مريض باختلال بالغدة الدرقية ربما ـ ـ ـ ـ ـ لست أدري لماذا خطرت على بالي هذه الأفكار ، لست أدري لماذا ازاد اكتئابي أضعاف ، لست أعلم لماذا بدأ يخطر على بالي أفكار من مثل أنني مصاب بمرض خطير سيؤدي بي إلى الموت .

حتى دخل وقت المغربيات ، حتى شعرت بأنني لا استطيع التنفس أو أنّ نفسي سيغلق تماماً و شعرت بأنّ الموت دنا مني أخيراً ، هنا

اعتراني خوف شديد و رهبة و ذعر غير معقول من فكرة " أنني سأموت" هنا شعرت بحاجة قوية لأن أبقى حياً ، على الرغم من اكتئابي المتكرر و حزني الكثير.؛ إلا أنني آثرت البقاء على الرحيل ، اعتراني رعب شديد من فكرة أنّ الموت قدر محتوم بالنسبة لي ، أخبرت أمي و أخوايي الصغار أنني أريد أن يذهبوا معي لمشوار و أصررت عليهم , حتى إنهم شعروا بأنني بدأت أصبح غير طبيعي ، و خرجنا من المنزل للتنزه ، و لكنني كنت كل كم متر أهرع للركد علّ النَفَس عندي يصبح أقوى و أسرع ، وشعرت بأنّ قلبي اقترب من الهبوط و أنّ جسمي بدأ يوهن و أنّ ذهني صدق و قبل فكرة أنه سيطفئ إلى غير رجعة ، هنا أصبت برهبة و رعبة و خوف شديد و كان من أكثر المرات التي أخاف فيها بحياتي ، و أنا أمشي و كانت أمي و أخواي خلفي بمسافة كبيرة بسبب ركدي (جريي) المتكرر ، وصلت إلى جانب القطعة العسكرية للقوات الخاصة في القابون (و كان العساكر لطفاء هناك للغاية على الرغم من أنهم يتبعون لحكومة النظام) و كانت لأضواء البرتقالية قد اشتغلت لتوها و النجوم ظهرت و الليل طلع و السواد أكل السماء ، فجأة قلت " يارب أنت وحدك تعلم ، أنني لن ألحد إلا لدواع عقلية ، يارب عبدك يطلب منك أن تجعله حياً ، لا أريد أن أموت يارب ، لست أدرك من أنت و لا إله أي دين أنت ، إنما أريد أن أبقى حياً ، أنا اخاف الموت يارب و أثق أنك ستجيب دعواي" هنا دب لإيمان بقلبي دبة قوية ، لم أؤمن بالله فقط.؛ بل أيقنت به يقيناً شديداً متمكناً ، و صرت أخاطبه أقول " أعدك يارب إن جعلتني حياً سأصبح مؤمناً بك و سأبحث عن دينك و أفني حياتي من أجلك " و صرت أسبح الله بطريقتي الخاصة ، أكان سبب هذا رهبة الموت و الخوف منه ؟! أم طريقة لأهدئ فيها عن روعي ؟! أم أنّ لإيمان فطرة فينا ؟! أو ربما بسبب نشأتي مسلماً ؟! أم أنّه لدي شك لا أدري و اخترت خياراً عله يكون مفيداً (من

منطلق الزق العجينة بالحيط !!!) ؟!!؟ في الحقيقة لست أدري ، أصف لكم ما حدث دون أن أعلم ما هو السبب بالضبط .

وصلت إلى الحديقة التي على آخر خط سرفيس مساكن برزة شارع الثورة ، و جلست أمي و أخواي على الكرسي و صرت أهرع و أركد حول الحديقة لأنني ظننت أنّ الرياضة ستنقذني ، و أذكر أنني طلبت من سيدة ماء (و كانت الكهرباء مقطوعة و الجو مظلوماً) فقالت بصوت رجولي نسائي : أولاً أنا لست خالتو. أنا رجل ثانياً ما معي مي (ماء) ، عندها صرت أركد أكثر و أكثر حول الحديقة ، حتى سألتني أمي ما الذي يحدث معي بالضبط ، فقالي لي أخي لأصغر : هذه أعراض القولون العصبي ، ضيق النفس ، بسبب النفخة و ـ ـ ـ ـ ـ إلخ عندها ارتحت كثيراً ، عدت إلى المنزل و الوضع طبيعي للغاية ، لكنني أذكر أنني قبل أن أنام شربت ٤ أباريق من الكمون كيلا أصاب بهذه لأعراض مجدداً ، ثم نمت مع القليل من الخوف ، مر أول يوم بشكل طبيعي و نمت ، حتى جاء اليوم الذي بعده ، و هنا أتت الطامة الكبرى ، أرى الدنيا مثل المنام !!!!!! ياللهول و ياللخوف ، هل أنا في حلم ؟!! أم أنني سأصبح مجنوناً ، في الحقيقة كل شئ كان يوحي بأنني اقتربت من الجنون ، فلا أشعر بالعالم من حولي كثيراً ، و أحاسيسي قلّما ما تثار ، و لا أشعر ببرد أو حر و لا أشعر بألم و لا لذة ، لا جوع و لا عطش ، و لم أعد أستطيع البلع و لا الشرب بشكل طبيعي ، توقفت عن قراءة الفلسفة بشكل نهائي لاقتناعي أنها ستزيد من جنوني ، و صرت أخاف من كل سيرة يذكر بها الجنون أو حتى تذكر فيها اسم نيتشه ، أو حتى هيوم (لأنّ هذا تشكك في وجود العالم) ، قلت لنفسي سأنام ثم سأتيقظ فأتحسن ، ولكن لا فائدة ، السماء أشبه بصفراء و الدنيا مثل المسرحية و الشمس لونها مثل لأفلام كرتون ، و كلما أصفن في البلاط أراه ينتفخ و تتغير أبعاده ، و لأمر زاد ذعري ذعراً و زاد خوفي خوفاً و زاد حياتي بؤساً ، و

صرت مرهباً رعباً عميقاً من فكرة أنني أنفصل عن العالم و أصبح مجنوناً ، أستلقي فأشعر أن لأرض تسحب من تحتي ، قرأت لأناجيل ربما أرتاح لكنني لم أتحسن ، بل بقيت في نطاقي السيئ و عالمي الشبه منفصل عن العالم ، ما إن دخلت المغربيات و بدأت الشمس تغيب حتى امتلأت رعباً و لست أدري ما السبب ؟!!! و لست أدري لماذا ؟!! بدأت أهلوس (مع انني أعلم أنها هلوسة) بأمور سيئة و الأشياء تتغير أبعادها من حولي و لأمور الساكنة أصبحت أراها تتحرك بشكل بطيئ (مثل التلفزيون و الباب و - - - إلخ) و لأمر واضح أنه يزداد سوءاً ، أما من ناحية الطعام ، أصبحت عديم الشهية لكل لأطعمة ، و ازدت نسياناً و أصبحت معظم الوقت شارداً أفكر فقط في نفسي ، هل سأجن ؟ كيف سأنجو بنفس ؟! ، و من مثل هذه لأفكار. ؛ و بنفس الوقت أصبح البلع صعب للغاية عندي ، ما من شئ آكله إلا و يخنقني ، حتى أصغر لأشياء. ؛ ازدت ضعفاً و نحلاً ، و أصبحت عصبياً إذا مر الشخص بجانبي أغضب منه ، و إذا شاهدت التلفاز جمد الواقع من حولي و كأنني اندمجت في التلفزيون ، حتى ظننت أنّ المشكلة في أنني أعاني القولون ، فاشتريت دواء من أجل القولون لكنه زادني سوءاً و أصبحت حالتي النفسية أكثر سوءاً ، و كانت أي مشكلة أو مشاجرة تحصل معي يزداد لاختلال عندي ، فتصبح الدنيا أكثر عتمة و أفلامكرتونية بالنسبة لي ، فلا القمر هو القمر و لا الشمس هي الشمس ، بت لا أشعر ب لأشياء من حولي ، هنا تشجعت و قررت أن أعالج نفسي بنفسي ، فقرأت كتب علم النفس ، فأذكر أنني قرأت لأنا و الهو لفرويد و قرأت كتاب عبد العزيز القوصي مرة أخرى (أسس الصحة النفسية) و قرأت موسوعة محمد حسن غانم مرة أخرى ، و قرأت الكثير من الويكيبديات ، كما أكملت قراءة نظريات التعلم حتى نظرية روتر ، و المراجعة العاشرة للتصنيف الدولي للأمراض و كتاب جمعة يوسف (سيكلوجية اللغة و المرض العقلي) الذي قرأت فيه فصل المرض عقلي فقط ، و

علم النفس الصيدلاني د بصل (و قد كنت أعرف الدكتور مصطفى بصل شخصياً) و بعد كل هذه القراءات ، استنتجت أنني أعاني اختلال لآنية و القلق و الرهاب من الموت و الرهاب من الجنون و اضطراب الأكل و ـ ـ ـ الكثير جداً من لاضطرابات النفسية .

بعد عدد من الويكيبديات و الكتب ، قررت أن أبدأ علاج اختلال لآنية لأنه لأساس في معظم هذه لأمراض.، فبدأت أصنع فرقاً في لأحاسيس ، أضع يدي في فريزة البراد و أضع يدي على أبريق الشاي ، أنغز أصبعي بدبوس ، أقوم بإشعال القداحة على يدي ، و صرت أكثر الحديث مع أخي بالكثير من لأمور حتى ألهي نفسي عن نفسي بأمور أخرى (أي بدل من أتوسوس و أفكر في أمراضي و أحاسيسي " مثل كيف أتنفس و كيف أنام و ـ ـ أفكر بأمور أخرى و اندمج بالحديث) نجحت هذه الخطة نسبياً ، إلا أنّ الوسوسة لم تنفك عني نهائياً ،و صار اختلال لآنية يعاودني مرة بعد أخرى بالتناوب (أي يذهب ثم يعود) ، و لأمر أصبح معقداً للغاية ، فهناك أمور معقدة ما بين الاقتناع و الخوف و لاضطراب و القليل من اختلال لآنية كانت تحصل معي ، كنت أذهب ل لعب الرياضة و العمل في العتالة و الكثير من لأمور كي أتحسن لكنني لم أتحسن نهائياً ، إنما كانت فترات مؤقتة .

هنا مناماتي أضحت تعبر عن مخاوفي ، فأرى نفسي مرة مجنوناً و محجوزاً في الغرفة ، و أرى نفسي مرة في القرن السابع عشر في بلاد الشام في بيت عربي قديم ، يغلقوا عليي باب الحديد و أنا مجنون ، و أرى مرة أنني استيقظت من النوم (و صدقت أنني استيقظت) ثم وضعت رأسي على المخدة (الوسادة) لأشعر أنها تهتز من تحت رأسي. ، و يزداد الرج و لاهتزاز بشكل عنيف و غير طبيعي ، لأرى الدنيا تكسرت مثل الزجاج و أسمع صوت طنين قوي جداً ، ثم استيقظت ووجدت الدنيا بشكل طبيعي و أصوات السيارات من استراد حرستا البعيد يلعب بأذناي لعباً و كان

صوتاً جميلاً بجانب لأضواء البرتقالية البعيدة و صوت صراصير الليل و الهواء الذي يلعب بغرفتي في لأعلى ، يوم أتحسن و ثلاثة لا ، و بقي لأمر متوتراً للغاية ، مرة أقول هذه أعراض القولون العصبي ، و مرة أقول هذا وسواس قهري و مرة ـ ـ ـ إلخ ، و أذكر أنّ المشاكل في لأسرة زادت كثيراً ، مما سبب لي معاناة كبيرة ، الأمر الذي أدى إلى عودة اختلال لآنية بشكل قوي ، مع رهاب الجنون و رهاب الموت و المنامات القبيحة عن الجنون و الموت مع صعوبة البلع و أرى لأشياء تتغير أبعادها و تتحرك مع القليل جداً من الهلوسة السمعية و البصرية ، كان هذا لأمر يحدث بعد كل مشكلة صعبة تحدث معي ، قرأت حينها مقالات عن الجنون على الويكيبديات ، منها مثلاً على صفحة أطباء بلا حدود التي زعزعت ثقتي بعقلي و سلامتي العقلية ، التي وضعت أعراضاً تنطبق عليي ، مت خوفاً و لكن آخر المقالة كان إعلاناً لمجموعة أدوية تشفي من هذه لأعراض بفرد ضربة !!!!! صحيح كنت مختل نفسياً لكنني لم أكن أحمقاً !!!!! كنت أخاف لأدوية النفسية كثيراً لأنني سمعت عن أثرها السلبي الضار جداً على العقول ، و بالطبع كان عقلي أثمن ما أملك و الشئ الوحيد الذي أملكه ذو قيمة .

زاد خوفي كثيراً و حاولت أن أتناسى الموضوع ، و لكن مرة من المرات على حدود المغربيات ، شعرت بأنني دنوت جداً من الجنون و إنني على شفير لانهيار ، جسمي و عقلي و أعصابي التي بدأت ترجف ، و جائني حس قوي للصراخ و ضرب نفسي ، لقد أمسكت بنفسي بأعجوبة ، دخلت إلى الحمام عدد كبير جداً من المرات بعشر دقائق فقط ، قلت لأخواي ، هيا بنا نخرج مشواراً ، فخرجا معي ، و ذهبنا إلى مقهى على أشعر بتحسن ، هنا ضغطي ارتفع ،و عيناي احمرت و نفسي ضاق.. هنا أحاول المقاومة ، ولكن !!!؟ أشعر أنه دون جدوى ، فإما انتحار و إما انهيار ،

بجانب الطاولة التي كنا نجلس عليها ، رجل في أواخر الثلاثينيات كما يبدو ، كان يؤركل (من أركيلا) و على طاولته شاورما عربي و بيبسي و مياه و بطاطا مقلية مقرمشة و ـ ـ إلخ نظر إلي و قال ، تبدو تعباناً أليس كذلك ؟! قلت له " أجل أنا مرهق للغاية " قال أركد و جري في هذا الشارع ، ركدت و سمعت كلامه ، فقال بهدوء ليس بشكل عنيف ، هنا بدأت أهدأ ، طلب لي كولا سيفين أب ، و أعطاني إياها و جعلني أجلس بوضعية محددة و هنا هدأت كثيراً ، ثم عاد هذا الرجل ليحاكي صديقه الذي أمامه ، هنا فتحت الواتس و إذ فتاة أرسلت لي رسالة و بدأت تمازحني و لست أعرفها و رقمها غير محفوظ (مسييف) عندي ، و بالحديث مع هذه الفتاة ، عدت إلى طبيعي مطمئناً مرتاحاً و شكرت الرجل الذي ساعدني و ظننته طبيباً فقال : لا أنا لست طبيباً إنما أنا خبير أكل و طعام !!!! عدت إلى المنزل و كان لأمر هادئاً للغاية .

لأمر الذي كان يزعجني في ذلك الوقت هو الوحدة و الوحشة التي كنت أعيشها ، فلم يكن ثم من أحدثه عن ألمي و لا أصف له وجعي و لا يوجد هناك من أحدثه بصراحة عما يحصل لي ، الأعراض كانت يوماً تزيد و يوماً تقل ، و صار لأمر عندي مضطرباً للغاية ، فكنت أعاني معاناة قوية ، مرة أتمنى أن أكون ذو علاقات اجتماعية عميقة ، و تارة أحلم بأسرة حولي ، و مرة أتخيل بعض التخيلات الدينية و ـ ـ ـ ـ ـ إلخ علما هناك ما يهدئ روعي ، على أي حال ، بتأثير الأدوية ، و النفسية السيئة ، ورد على بالي أفكار انتحارية ، و فكرت بجدية في الموضوع ، لكنني فكرت بطريقة سريعة و غير مؤلمة للموت ، لأنني لم أعد أطيق الحياة بتاتاً ، لكن صدق أو لا تصدق ، ميكانيك الكم كانت الحاجز الذي حال دون ذلك ، قررت أن أنهي حياتي بخداع نفسي ، أي أن يكون الموت سريعاً و تكون ردة الفعل بحيث إنني لا أتألم و لا يكون هناك وقت كافي الندم أو لحلاوة الروح كما يقال .

لكنني أجلت كل التنفيذ إلى ما بعد أول فصل من مادة ميكانيك الكم التي كان يعطيها د نبيل جودية (و هو أفضل دكتور رأيته في حياتي) ، و كان أول فصل يختص باستنتاج معادلة شرودنغر ، فقلت لنفسي : أنا منذ الصغر أتمنى أن أفهم هذه المعادلة و أستطيع استنتاجها و حلها ، لذا سآخذ هذا الفصل و أفهمه ثم سأنتحر ، و كان يومي كله يُختصر بمحاضرة ميكانيك الكم التي آخذها في الجامعة ، أفهم بكل قوتي و أنتظر بفارغ الصبر حتى ينتهي الدكتور ، و كنت عندما أتابع الدرس مع الدكتور نبيل أندمج في اللوح و تتوقف الحياة ما حولي ، اعني و بشكل عصبي نفسي لا أفهمه ، أنقطع عن كل لأحاسيس و المؤثرات من حولي من عدا اللوح و الدكتور نبيل ، و بعض الأحيان كنت أشعر أنني سأغمى ، بعدما انتهى د نبيل من فصل معادلة شرودنغر ، قررت اخيراً الذهاب عن هذه الدنيا ، و لكن ياللهول : لقد بدأ د نبيل بفصل لأسس الرياضية لميكانيك الكم و فضاء هيلبرت ، و كان أحد أهم أمنياتي هو أن أفهم هذا الفضاء و أسسه الرياضية ، فقلت لنفسي كما قلت أول مرة ، أن أنهي حياتي بعد هذا الفصل ، و طبعاً اختصرت حياتي بهذه المحاضرات فقط ، أعيش و آكل و أنام من أجلها ، و ايضاً عندما أنهى الدكتور هذا الفصل ، بدأ في الفصل الثالث و لأخير : مسلمات ميكانيك الكم و حل المسائل ، هنا أيضاً قررت البقاء لكي أفهم لأسس الفيزيائية لميكانيك الكم و من أجل أن أفهم استنتاج مبدأ اللايقين لهايزنبرغ ، و بعد انتهاء كورس ميكانيك الكم كنت قد شفيت (بقصة أخرى سأذكرها بعد قليل) .

و لكن التساؤلات التي قد تعرض علينا :

هل كنت أخدع نفسي و اخترت ميكانيك الكم ذريعة لأنني كنت أحب الحياة ؟! أم أنني كنت أبحث عن معنى لحياتي ؟!! أم أنها (أي ميكانيك الكم) و الدكتور نبيل أنقذا حياتي ؟!! حقيقة لست أدري و أنا نفسي لم نفسي في ذلك الوقت .

الطريق نحو الشفاء :

في مرة من المرات ، نشب شجار كبير في منزلنا ، مما أثر بالطبع على نفسيتي أعاد اختلال لآنية بقوة غير معهودة ، أصبحت أرى الدنيا و كأنني بفيلم أجنبي من طراز الذكاء الصناعي ، على أي حال ، شعر أبي بأنني أعاني شيئاً ما ، فقرر أخذي إلى منزل عمتي عل و عسى روعي يهدأ قليلاً ، في الطريق وصلنا إلى مسجد لصلاة المغرب ، و أبي كان يعلم أنني ملحد ، لكن ؛ من أجله دخلت الصلاة ، و بينما أقام الشيخ صلاة المغرب و أمَّ بنا ، في سجدة الركعة لأولى قلت " رباه لست أعلم من أنت لكن اشفني يارب " و في الثانية قلت " يارب لم يبق لي أحد في هذه الدنيا ، كن أنت معي ، فأنت وحدك تكفيني " و في الثالثة قلت " يارب أيها لآب ، والد ربنا يسوع المسيح كن معي و لا تتركني " سميته في لاسم ، لأنني شعرت و كأنّ يقيناً ما في قلبي ، أخبرني بأنّ يسوع المسيح هو لإله و هو الرب و الله لآب هو خالق العالم و ------ باختصار الهالة الروحية و اليقين لإيماني الذي كان عندي قبل سنة عاد إليّ من جديد ،و أذكر أنه في التشهد قلت : يارب أعطني علامة من أنت ، أخبرني من أنت ، لم أعد أطيق اختبائك ، لم أعد أطيق حيرتي و لاأدريتي ، يارب حتى لو بشكل غير مباشر ، أعلن لي عن نفسك ، أخبرني من أنت ، أي إله أنت ، لم أعد أطيق المعاناة يارب و ---------و من هذا الكلام ؛ فجأة و بعد أن قال الشيخ " السلام عليكم و رحمة الله " و انتهينا من الصلاة ، ضرب على قلبي فرح شديد و لذة غير معقولة ، هي لذة لإيمان ، لنقل أفيون ، لنقل شئ سبب لي سعادة كبيرة و فرح و عاطفة لست أدري مصدره ، لكنه كان يبعث باليقين لي أنّ ما كان في الأناجيل القانونية حق. ،و أنّ يسوع المسيح هو الله الحي و ابن الله الحي ، على أي حال خرجنا من المسجد لنذهب إلى بيت عمتي ، و هناك

بعد أن جلست و تحدثت مع ابنة عمتي المهندسة في شئون ثقافية و أشعر و كأن دماغي يشطف بالمياه و أشعر لو أنني بمسرحية لأنني أرى لأضواء بشكل مختلف ، قالت عمتي بأنها تعرف رابط منحة قطرية لطلاب الجامعة ، أعطني الموبايل لكي أدخل عليه ، و دخلت عليه و إذ تظهر لدي رسالة إلكترونية مكتوب عليها " رسالة أمل ، مبروك لك ، إنّ الله يحبك ، و أرسل ابنه يسوع المسيح ليغفر خطايانا و ـ ـ ـ ـ إلخ " و بعث بإجابات لكل لأسئلة التي طرحتها في الصلاة ، هنا لم أتمالك نفسي ، اتصلت بفتاة صديقتي و كانت كاثوليكية (و كانت قريبة مني لدرجة غير معقولة ، لقد كنا إخوة بالفعل) و أخبرتها ما رأيت و البكاء يجهش مني و كأنني اقتربت من لانهيار تماماً ، حتى تحدثنا كثيراً و قالت بأنه علي أن أتعمد ، و رسالة الله لي يجب ألا تذهب سدى ، بعد أن أخبرتني كلاماً جميلاً يعجبني ، قررت أن أدخل دين المسيحية عن جدية و قناعة تامتين ، و بظرف كم يوم ، شفيت تماماً من أكثر أمراضي النفسية ، باستثناء بعض المنعكسات البسيطة التي بقيت كنتيجة للحالات القديمة ، لكنها ما لبثت أن أخمدت هي لأخرى ، على أي حال ،بعد الشفاء التام من لأمراض ، قررت إكثار القراءة في الدين المسيحي بكافة تفاصيله ، بموازاة القراءة اللاهوتية عدت لقراءة الفلسفة و العلوم الحديثة ، و أكثرت القراءة في علم النفس و البيولوجية (العصبية و الدماغ على وجه الخصوص) بمراجع و مقالات أكاديمية ، ولكن ، اكتشفت أنّ النظرية التي أسندت إيماني عليها في البدء (أنّ الوعي يصدر عن وعي) و تلك التي وصفتها في رسالة التي بعثت بها إلى أخي ، لقد كان الوعي (حقاً) عملية بيولوجية من اختصاص الدماغ (القشرة الأمامية و منطقة الترابط الجبهي على وجه الخصوص) و بعد قراءة كتاب اسمه الخلية تأليف آلين و كاولينج و الوعي سوزان بلاكمور و أساسيات طب لأعصاب ولكنسون و الفيزيولوجيا كلية الصيدلة السنة لأولى جامعة دمشق ، و أكثرت الكثير وقتها للتأكد من صحة وجود الله و صحة لأديان و

المسيحية ، لأنّ العقيدة تزعزت مرة أخرى ، و بتأثير من رسل مرة أخرى ، و بتأثير كل من موريس بوكاي و ابن حزم و فراس السواح و دوكينز و تأملاتي الذاتية في الأناجيل (بعد دراسة تاريخيتها) ، انقلبت إلى البروتستانتية إلى الغنوصية (أي تلك التي ترى أنّ الخلاص تكون بالزهد و العودة إلى الذات ليس إلى مؤسسة كالكنيسة أو ـ ـ و أنّ لإيمان يأتي من الداخل لا من الخارج و يرفضون العهد القديم و ـ ـ ـ إلخ) ثم إلى اللاأدرية ثم إلى لإلحاد مرة أخرى ، لكن هذه المرة مدعّم بأدلة و براهين و معرفة كبيرة في لإسلام و المسيحية ، لأمر الذي سهل علي فهم سير تطور الفلسفة في العالمين الأوروبي و لإسلامي ، فقد اعتنقت الدينين عن قناعة و محبة و قرأت محتواهما عن إدراك شديد و رغبة في الفهم و محاولة في التأكد ، ف لأمر هذا هو الذي جعلني مسلح بأدلة قوية ناتجة عن فهم و إدراك شديدين لفهم محتوى و مضامين المسيحية و لإسلام ، ذهبت فيما بعد ، أناقش و أحاور أحد الخوارنة عن أسس المسيحية ، فقال لي دون تساؤلاتك على ورقة و أعطني إياها لأجيبك ، فألفت كتاب " تساؤلات في الدين " و هو كتاب هجومي و جدلي للغاية ، خصوصاً فيما يتعلق بمواضيع لأديان ، في هذا الكتاب ، في الجزء لأول منه " الدين و الواقع " بينت أنّ لأديان لم تعد صالحة للأفراد و المجتمعات و أنّ الناس بلا دين ستكون سعيدة أكثر و في الجزء الثاني منه فندت لأدلة على وجود الله ابتداء من دليل العلة لأولى و دليل الحركة و دليل الواجب ـ الممكن و دليل التناسق و النظام و دليل الفاعل و دليل الوعي لأول (الدليل الذي فتنني أول مرة) ثم أرفقته ببعض المواضيع مثل علاقة الدين بعلم النفس و علاقة الدين بالوحدات البشري و كيف نحيا بلا دين و بلا إله و ـ ـ ـ ـ باختصار كان كتاباً متطرفاً للغاية ، و كان ذلك ضروري لتأليف الكتاب كوني أحاور رجل دين (وهو خوري) و كنت أنوي أن أضيف له فصلين (

التاريخ و نقل النصوص الدينية و الزنا - الدين) لكن لم يوفقني الله لإتمامهما .

و لكن للأسف لقد تهرب هذا الخوري كثيراً عن محاورتي ، لست أعلم لماذا ، و بقي الكتاب ورقياً عندي في المنزل فترة طويلة قبل أن أنشره ، و حاولت عرضه على د مدين هواري ندرس العقيدة في كلية الشريعة جامعة دمشق لكنه رفض أيضاً ، و لكن فيما بعد وفقني الله ، بالتعرف على شخص لامع للغاية ، فيلسوف و عبقري و مؤلف من الطراز الرفيع ، يقرأ الكتب أضعاف مضاعفة مما أقرأه أنا أو يقرأه أي شخص أعرفه ، وقد شرفت مع هذا الشخص بتأليف كتاب أسس التفكير لإنساني و ذيل كتابي تساؤلات في الدين بفصل كامل عن القانون الديني و تاريخه و شرفت معه بتشكيل رابطة لإخوة لإنسانيين بسبب إشكالات مع بعض الجهات التي من الممكن أن تؤذينا ، هذا الرجل كان حافزاً للقرآن و أتقن قرائتين ثم دخل المذهب الشيعي و اعتنقه ليصل إلى لإلحاد أخيراً ثم إلى الربوبية ثم إلى لإسلام لإصلاحي الفلسفي ، و قد ألف كتاباً في التفسير مدحه فيه باحثين من المشرق و المغرب و بمعرفته تعمقت أفكاري و كتاباتي ألف سنة للأمام و هذا الشاب درس في معهد دار الحديث و له كتب كثيرة في لإسلام و القانون و الفلسفة ، و الحوار معه شيق و عميق ، و هو معروف في لأنترنت يتابعه الناس في كل مكان ، تعرفت عليه من خلال مركز حوار الذي كان من مؤسسيه صديقي محمد زريع ، فكنت أكثر النقاشات في التعليقات على الفيسبوك و في الندوات التي في مسجد أبو النور (التي هم يقيمونها) ، و هناك عرفته و بدأت صداقتنا التي لم تنقطع بتاتاً و لا أعتقد أنها ستقطع يوماً ما ، على أي حال ذهبت مرة لأناقشهم (لجماعة مركز حوار) حول فكرة تحريم الزنا و الأفلام لإيباحية و من هذه المواضيع ، فكنت أنا وحيد صاحب وجهة نظر مختلفة هناك ، كنت الوحيد المؤيد للحرية الجنسية آنذاك.

و الوحيد الذي حكم بفشل تحريم الزنا و ـ ـ ـ ـ ـ ـ إلخ ، بعض الشباب ضحك من كلامي لأنه غريب ، البعض تضدايق ، بعض الفتيات (ممن وصلهم المايك) من أسمعتني كلمة فقالت : لاشئ يبرر الزنا فهو حرام بنص الله عز و جل ، قد أطلت نوعاً ما في حديثي و كررت كثيراً ، بعد المناظرة ، أخبرت المقدم على أنني لا أؤمن بالأديان و هذا كان السبب الرئيسي وراء موقفي هذا ، فعرض علي مناظرة حول وجود الله ، فرحب المقدم بهذا القرار ، لكن شخص ما (يبدو ذو منصب أو نفوذ في معهد أبو النور) رفض هذه الفكرة و شعرت أنه قد أخافته هذه الفكرة .

فيما بعد ، بين حين و آخر ، عاودني شك حول وجود الله ، و حول صحة أحد لأديان (و كان ميلي عظيماً نحو المسيحية) فأصابني اضراب عظيم و تقلب في الرأي كثير ، فأنام مؤمناً و أستيقظ ملحداً ، و أصبح مؤمناً و أمسي ملحداً ، و لم أستقر على حال أبداً ، بين ساعة و أخرى تتبدل عقيدتي ، من مؤمن إلى لاأدري ألى ملحد إلى مسيحي إلى ـ ـ ـ إلخ حتى مرة رسمت عقيديتي من شكل قانون هايزنبرغ للارتياب ، لأنه مرة سئل هايزنبرغ عن عقيدته فقال : لا تستطيع أن تقول عني ملحداً تماماً و لا مسيحي تماماً ، و هذا بالطبع يشبه قانونه في لارتياب ، و هذا كان موقفي لفترة لا بأس بها ، لأمر أصابني بحيرة شديدة ، الأدلة التجريبية تميل إلى استبعاد الله في التفسير ، الوجدان يميل أحياناً لوجود الله (خصوصاً في الحالات العاطفية الشديدة مثل الخوف و الحب و السعادة الشديدين) كل هذه التخبطات جعلتني في مرحلة فهم نيتروسوفية بحتة (و القضية النيوترسوفية هي تلك التي تنقسم إلى نسبة صدق و نسبة كذب و نسبة لاتحديد واضع هذا العلم هو فلورنتين سمارنداكه) فأنا مؤمن و ملحد و لا أدري بنفس الوقت ، و قد وجدت بعض المبررات في الدين المسيحي ، لأنّ يوحنا يقول بإحدى رسائله " الله لم يره أحد قط " و قال يعقوب في رسالته "

أرني إيمانك دون أعمال أريك إيماني بأعمالي " و " أتؤمن بالله ؟! حسناً الشياطين كذلك تفعل " و هذا بالطبع يناقض قول بولس " لو لم يقم المسيح من الأموات فباطل إيماننا " و بنفس الوقت الذي زادني حيرة قول يسوع " الحق أقول لكم ، لا تموتون حتى يكون هذا كله " كيف و قد بلغنا ألف سنة و لم يكن هذا كله أو هم أحياء، ب لإضافة لتطبيل بولس عن طاعة الحاكم في رسالة إلى رومية . و رسالته إلى تيطس " ذكرهم بأن يخضعوا للسلطات " لأمر الذي جعلني أنفر أكثر و أكثر ، و لأمر لأكثر الذي جعلني أبتعد عن المسيحية أكثر و أكثر هو استحقار هذا الدين الكثير للزنا ، و هو أمر كنت أرفضه قطعاً ، أذكر أحد الخوارنة سألني عن ماهو اعتراضي عن لأناجيل ، فقلت له آية واحدة ، فقال ما هي ؟! قلت " لا تزنوا" قال : جاد أنت ؟! هل تقبل فطرتك هذا الشئ ؟! ألم تُربّى مسلماً!! في الحقيقة لم أحاوره كثيراً ؛ إنما أصررت على موقف أنّ الله لن يخلق في لإنسان غريزة جامحة و قوية مثل هذه و يحرمها عليه ، هذا قمة في العبث ، كالذي يرميه في اليم و يقول إياك إياك أن تبتل في الماء أو كما قال الحلاج (الحسين بن منصور المتصوف المعروف) ، دون الدخول في هذه التفاصيل ، وجهة نظري عن الحرية الجنسية لم تكن بكل تلك القوة و لا كل تلك التفاصيل ، إنما التفاصيل استمدتها من كتاب الزواج و لأخلاق برتراند رسل و هو كتاب رائع للغاية و مقنع (مثل معظم كتب رسل) و كتاب لماذا أنا شيعي لمؤلفه.(نسيت اسم المؤلف صراحة لكنه متوفر على النت) وهو كتيب و فيه عندما يدافع عن زواج المتعة يتحدث و بلا حرج عن حماقة حرمان المراهقين من الزنا ، و ماذا يفعل الحرمان بنفسية المراهق و تدمرها ، حيث يوجد فارق بين النضج الجنسي للفرد و بين نضجه لاقتصادي و في هذه الفترة من النضج الجنسي إلى النضج الاقتصادي كيف أنّ الشباب يدمرون ببطئ و كيف تضعف عقلياتهم و ـ ـ ـ إلخ و استمدتها أيضاً من كتابي فرويد " الحياة الجنسية " و " الأنا و الهو " و

كتاب ثيودوراك (تلميذ فرويد) " سيكلوجية الحب و الجنس " و نظرياته معروفة في ذلك ، و دفاعه عن الحرية الجنسية مشهور ، و كذلك كتاب د ميشيل فوكو (إرادة المعرفة) و (تاريخ الجنسانية) و قد كانت وجهة نظره و أبحاثه قوية في الموضوع ، و استمدت الكثير من وجهة النظر هذه من أبو الجنسانية الحديث د ألفريد كينزي مؤلف كتابي " السلوك الجنسي لدى أثنى الإنسان " و " السلوك الجنسي لدى ذكر لإنسان" و فيه يدافع فيه عن الحريات الجنسية و الهوية الجندرية ، و كذلك من أطروحة الدكتوراه في الفلسفة للدكتورة أنجيلا وايت " دراسة في التنوع لاجتماعي " (و قد حصلت على الكتاب لأخير من موقع Scribd) ، على أي حال ،هذا الموضوع فصلته في كتب و مقالات أخرى ، و بقي لأمر على اضطرابي هذا ، و كان لأمر بين شقين :

1 – أرفض وجود إله لأني أرفض وجود وعي خارج الدماغ ، لأن كما أن الهضم وظيفة المعدة فإنّ الوعي وظيفة الدماغ ، و كل شئ في الكون له تفسير كامل و يعطي تنبؤات صحيحة دون جلب إله في التفسير أو القانون

2 – لكن في حياتنا اليومية ، الصدف الغريبة و الجميلة و الشعور لانجذابي نحو وجود الله يؤكد وجوده

3 – لكن وجود الله جاء من عجز لإنسان عن تفسير الكون و ظواهره ،قديماً كان يظن أنّ للريح إله و لكن بعدما اكتشفنا آليته الميكانيكية (من فرق للضغط بسبب فرق درجات الحرارة) استبعدنا أن يكون للإله يد مباشرة في الموضوع و كذا نيوتن كان يعتقد أنّ الله كان يتدخل ليحافظ على توازن الكواكب كيلا تقع على بعضها و لكن بعد اكتشاف النسبية العامة و تمدد العالم ، أصبح الله فقط مشعل فتيل لانفجار و محدد قيم جدول ستاندرا موديل

4 – لكن أكثر من مرة ندعي الله فيستجيب لنا ، هناك تنسيق في كوكب لأرض ما يوحي أنه مصنوع خصيصاً للبشر و ثانياً إذا كان كل شئ يسعى للتوازن في العالم ، فما الذي أزاح الكون عن توازنه لأصلي أثناء لانفجار الكبير ؟!!؛

و الكثير الكثير من مثل هذه التساؤلات ، و صراع كبير حدث بيني و بين نفسي ، و لكن هذه المرة ، و بسبب الجدية في البحث عن المسألة و الهدوء في القراءة ، أصبح اضطرابي أخف ، فأسبوعاً ملحد و يومين مؤمن ، و في الحقيقة حتى أكون صريحاً ، في مواقفي العاطفية و الوجداني مؤمن بامتياز و في مواقفي العلمية و الفلسفية ملحد ، كنت على مستوى الفعل و التصرف مؤمن ، فعلى الله أتوكل و له أدعي و عند الحاجة له أعود و على مستوى الولاء للعلم و العقل و التجربة ، رفضت وجود الله و اعتبرت الأديان خرافة من لأقدمين ، لأمر الذي سبب لي تناقضاً لم يكن من السهل علاجه .

و بذلك أذكر أنه قبل سقوط النظام بيوم (٧ / ١٢) دعيت الله من كل قلبي أن يقف مع الشعب المظلوم المضطهد منذ ١٤ سنة ، و هذا مجرد حادث من الكثير الحوادث التي حصلت معي من هذا النوع.

لم أكن أستحي أن أطلب من الله ما أريد و أرجوه و أن أدعيه و أنا لا أؤمن به ، ملحد يدعي ربه إن كان موجوداً ؟!!!!!!

و إذا كان هناك أمر لصالحي به أتجاوز أمر الله من أي دين (مثل صيام رمضان و ماشابه) أتجاوزه على أنني ملحد !!!!!؟

هذا يذكرني بقصة طريفة عندما كنت مسيحياً ، فقد صادف و أن أتى رمضان مع الصوم الكبير المسيحي ، و كان صيام المسيحية يقتضي لانقطاع التام عن الطعام و الشراب من ١٢ ليلاً حتى ١٢

صباحاً ، ثم بعد ١٢ صباحاً تأكل كل ما هو ليس بدسم و لا دهن و لا لحوميات و لا ـ ـ ـ إلخ و رمضان كما تعلم أخي الكريم (بلال أعزك الله و أدامك) صيام من أذان الفجر حتى أذان المغرب ، فقد كنت أصوم رمضان من أجل أهلي و أصدقائي و اصوم الصوم الكبير فداء لديني الجديد آنذاك ، و قد اجتمعا !!!!! ففي النهار لا آكل مع المسيحين من أجل رمضان و بعد المغرب لا آكل الدسميات و اللحوميات من أجل ديني ؟!!

حتى جاء آخر رمضان و كسرت الدينان سورياً فأكلت اللحم ليلاً و نهاراً ، و هذا الضعف ناشئ عن الفترة الطويلة التي انقطعت فيها عن الصيام (من الصف العاشر حتى السنة الثانية) و ثانياً كنت أُفسر الدين المسيحي كما أردت (الصيام اعتبرته شئ أفعله بخياري و ليس إجباراً لأنّ الله محبة و لطيف !!!؟) و هذه القصة قديمة على أي حال .

يوماً بعد يوم ، و على حدود التخرج من الجامعة ،شعوري الديني يخف شيئاً فشيئاً ، و إيماني ينتزع شيئاً فشيئاً ، و أندمج بالواقع أكثر فأكثر ، و نسيت معظم نصوص المسيحية و لإسلام ، و صار معظم تركيزي على الرياضيات و الفيزياء و المنطق و التاريخ و السياسية و علم النفس و علم لاجتماع و الذكاء الصناعي و البرمجة ، أي أنني ملت نحو التطبيقي و نحو العلم المنهجي ، و نسيت الكثير من فروع الثقافة و الديانات و ذلك بالطبع :

1 – بسبب الجدالات ذات الطراز السيئ التي تدور حول الثقافات و الديانات ، التي تنتهي بالعنف و السب و الشتم و النبذ بل و حتى القتل في الكثير من الأحيان!!!!

2 – القليل من المنفعة الحقيقية ، فبينما العلوم لها منافع كبيرة و تطبيقات مثيرة ، نجد أنّ الجدالات لها القليل من المنفعة و الكثير من الضرر ، بالنهاية الزمن سيعلمهم و يعلمني ، فلماذا أتعب و أتعبهم معي !!!

3 – فهمي أنّ هذه الثقافات (لإسلامية و المسيحية و غيرها) ستزول كما تزول السياسات و الثقافات عادة ، لأنّ الزمن يجري و ستصبح المسيحية و لإسلام شيئاً من الماضي تتذكره الناس مثلما تتذكر المنانية و الوثنية ، بينما العلوم تبقى و تتطور

4 – أحببت أن أقدم شيئاً يفيد الجميع لا أن أفتح برنامج لاتجاه المعاكس مع الناس !!!!! .

أخيراً : ما أنا عليه اليوم بدون لف و لا دوران !!؟

نبذت كل المسميات (من ملحد و مؤمن و لا أدري و -- إلخ) و اخترت الفعل بدلاً من لاعتقاد ، أعني أنّ لإنسان مهما امتلك من عقيدة ، فإنه قد يخدع نفسه ، يتعلق بعقيدته بينما هو متعلق بمنصبه و ماله ، أو قد يكون له ولاء للعقيدة اسمياً لكن على مستوى الفعل لايوجد تطبيق أبداً ،أعني البلاد التي أنا فيها أحترم قانونها و عادات مجتمعها ليس من مبدأ نفاق لكن من مبدأ احترام و محبة و تقدير للذين يعتنقوها ، أقوم بأفعال ترضي الذين يتعاملون معي دون أن أنادي بشعارات و أجادل و أدعي أنني ولي صالح أو شيئاً من قبيل ذلك .

أعني ما يهمني الآن هو الفعل و ليس لاعتقاد ، لاعتقاد من السهل تغييره (هذا تعلمته من تجربتي في فترة لاضطراب) هو فقط تغيير قناعة ،و تمسك الناس بعقيدة هو من قبيل (احتمال أن ننفذ به من النار) أو لا نفكر بالمرة ،أو تعلق عاطفي أو تعلق بمصالح و نفوذ ، لأنّ لأفكار مهما كانت قوية تبقى أفكاراً ، من السهل تغييرها و هي شئ وهمي و قد تستخدم كأداة (أثناء التخطيط مثلاً) لكن لأفكار لم تعد تحمل عندي أي قيمة حقيقية إلا فيما تخدم العمل و النتائج على أرض الواقع ، لا أن أجعل الواقع يخدم أفكار !!!!!؟ هناك فرق كبير بين لأمرين ؟!!!!!

في مهنتي كأستاذ أحاول أن أقوم بعملي بأقصى ما تقتضيه طاقتي ، في التعامل أعامل باحترام ، أصوم رمضان ، أصلي التراويح ، أصلي الجمعة ، أحب و أحترم كل الناس ، أطيع القانون ، أريد من الناس لاحترام و هو ما أعطيهم ، أريد من الناس العمل الجيد و هو ما أحب أن أعطيهم ، أمور لأديان و الثقافات هذه تعطى لمختص تاريخي أنثروبولوجي يدرس هذه الظواهر بشكل موضوعي ، ليس من اختصاصي كفيزيائي و لا أفهم في هذه الموضوع ، إنما مطلع فقط ، هذا ما أعتبر نفسي ، العلم هو دراسة الظواهر ، و الدين من جملتها ، لذا يحتاج الدين بشكله العمومي إلى مختص تاريخي و بشكله الخاص إلى من هو مختص بهذا الدين ، فلا دراسة لإسلام يهمني و لا دراسة المسيحية ، إنما أتخلق بأخلاق الدينين لأنني في بلادهما ، أما عن حياتي الشخصية فأنا أدرى بها .

ف العقيدة بالنسبة لي هي معنى فارغ ، لأنه من المستحيل أنْ تتحول فكرة إلى عقيدة ،أرى أنّ المصلحة أو الفعل قد يتحول إلى عقيدة ، لأنّ العقيدة هي من عقدة ، أي من شدة التمسك و الجزم و لارتباط بهذه لأفكار ، و هو ما لا ينطبق بالطبع على عالم لأفكار ، لأفكار تتغير و هي نسبية إلى حد بعيد (باستثناء العلم الموضوعي

) تتحدد بالثقافة و التربية و القناعة و الظروف الاقتصادية و ـ ـ ـ إلخ ، أما المصلحة فمن الصعب و المستحيل أن يتخلى عنها لإنسان و ليس من السهولة تغيرها ، و يتمسك بها لإنسان عن مبرر و حقيقة و ليس فقط في القول ، هنا تسمى العقيدة عقيدة ، لأن لإنسان لا يتجاوز حدود قواعد المصلحة و لا يغير ما لأفعال التي اعتاد عليها ،بينما في العقيدة المجردة المبينة على أفكار بالطبع لا .

أما في عالم السياسة في لأفكار هي فلكلور شكلي و غطاء للمصالح ، بالدين أو القومية أو أي شئ هناك جماعة أريد أن تحكم و تصنع نفوذاً ،. حتى الجيوش قوية برواتبها و قوة أسلحتها و تحالفاتها و ليس بعقيدتها ، هذا يذكرنا بمقولة نابليون " الجيوش تسير على بطونها" ، فالتقنية العلمية و النظام لاجتماعي الخالي من الفساد هو سبب نهضة البلاد و قوة الأمم و ليس عبادة لأفكار المجردة مثل الموجودة في مجتمعاتنا .

فكل ما أستطيع أن أقوله " أنا موسى " ف لا " ملحد " و لا " مؤمن " ، كما يقول الشوام : الكلام ليس عليه جمرك ، أو الكلام ببلاش ما عليه وحدات ، فبكلمة أقول أنا ملحد و بكلمة أقول مؤمن و بكلمة أقول يهودي و بكلمة أقول أنا أشعري. ؛ بينما أن أتبرع بكل ثروتي ليس بكلمة ،و أن أعطي دروساً بكل طاقتي ليس بكلمة ، و أن أساعد اليتامى ليس بكلمة ، ف لأفكار هي أدوات مساعدة الحياة الواقعية و ليس لها معنى في حد ذاتها ، لهذا أوقفت التفكير عن مسألة وجود الله و الخير المطلق للمجتمع ، بل إذا عرضت علي مسألة تستخدم الجهاز الذي أملكه " العقل " و لأدوات التي فيه " لأفكار" فأصبحت لأفكار عندي مثل لآلة الحاسبة و الكومبيوتر و القلم ، أدوات ليس لها فائدة في حد ذاتها ، بل فيما نستخدمها ،بالطبع نعيش حياة معقدة مدنية ،فيها جامعات و مؤسسات و مواصلات و سفر و ـ ـ ـ إلخ و في ظل هذا التعقيد في الحياة أحتاج

إلى استخدام عقلي كثيراً و أن أكثر من التفكير ، لكن صدقوني استخدام لأفكار في حد ذاتها مثل عملية الهضم بلا طعام ؟!!!!!!!!

فلم أعد أهتم بطوائف الناس و لا عقائدهم و لا آرائهم ،بل في سلوكهم و كفائتهم فقط و علاقتهم بي ، فالذي يرتبط بي بعلاقة عاطفية (مثل أبي و أمي و أخوتي و أصدقائي المقربين جداً) لي معهم عالمي الخاص و سلوكي الخاص (أفكار مشحونة بقيم العاطفة و ليس بمنطق علمي) ، و الذي يرتبط بي بعلاقة مهنية أريد منه مالاً و أقدم له عملاً أو منفعة (قيمة استعمالية) و لأفكار هنا تخدم في الشرح و التوضيح و حل المسائل في مهنتي (مهنة التدريس) و الذي يرتبط بي بعلاقة فكرية ، أخدمه باختصاصي و بالمنهج الذي نتحدث فيه ،و في حياتي الفكرية لم أعد أخرج خارج الفيزياء و الفيزياء النظرية على وجه الخصوص ، و بهذا فقط و فقط بهذا تخلصت من مرض عانيت منه عشر سنين أو أكثر !!! .

باختصار : في الفكر و العاطفة السامية (التي يفعلها جين VATM2 راجع التطور و لأسئلة الكبرى ديفيد ستاموس) و المعنى (بحيث أنه لكل إنسان يجب أن يبحث عن معنى حتى يستمر في الحياة راجع فرانكل لإنسان و البحث عن المعنى) هذا أمر أحصره بحدود خبرتي و واقعي ، إن عبدت الله يوماً فهذا يعني أنني أعيش معه خبرات حقيقية و بالطبع لن أخبر الناس شيئاً من ذلك ، و لن أفضح ما تعطي يدي اليمنى و بنفس الوقت لن أعلن عن جميع خطاياي بالمذياع ، لأمر يبقى سرياً تماماً بالنسبة للآخرين ، سواء موضوع الله أو الشعور بالتسامي ، لأنّ هذا الموضوع هو شخصي و ليس علمي أو فلسفي أو مهني أو ---- حتى أشارك الناس به ، أو حتى نجد حكماً موضوعياً فيه ، فلكل شخص تجربته و طريقته في العاطفة و التفكير ، و لكل شخص منهجه في البحث و الوصول إلى نتيجة .

باختصار شديد :

1 – لإلحاد و لإيمان و اللاأدرية كلها لامعنى لها ، فالحياة محل للعمل و لإنتاج و ليس محلاً للأفكار المجردة ،و ما لأفكار إلا أداة أو وسيلة من أجل العمل و تعقيدات الحياة

2 – كفانا عن الجدالات السخيفة و لنركز عما هو نافع حقيقية ، بالدراسة و العمل و التجارة و بناء البلاد و ليس ب (إسلامية ؛ علمانية ؛ ـ ـ ـ إلخ) هذه الجدالات لا تطعم خبزاً ، و صدقني أخي المؤمن بمواعظك كل شخص سيفعل ما يقتنع به مهما أمرت بالمعروف و نهيت عن المنكر ، و صدقني أخي الملحد بتشكيكك و هدمك لأديان لن تغير شيئاً فالذي له قناعة داخلية و عاطفة أن تستطيع رؤيتها سيفعل ما يقتنع به ، لذا لا فائدة من الكلام أساساً

3 – منذ القرن التاسع عشر و نحن نتحدث بنفس المواضيع و نسأل لماذا تقدم الغرب و رجع الشرق ، و ذبحنا بعضنا بالجدالات و الحوارات و الخلافات حول هذه المسألة ،و ما تخلفنا سوى لأننا نتحدث و نتجادل و الغرب يعمل !!!!!!!

لو أننا اشتركنا في العمل على مبدأ (كل مين ع دينو الله يعنيو) و صمتنا عن هذه لأحاديث و ركزنا على التنمية و لاقتصاد لجنينا ربحاً كثيراً و وفرنا جهداً كبيراً و تنزهنا عن جدالات و خلافات كثيرة .

4 – الحياة الشخصية ملك لصاحبها ، فلا تستطيع أن تشق قلبه و تغيير عاطفته و لا أن تشق عقله و تغيير قناعته ، إنما أنت تحاسبه

بالقانون إذا سبب لك أذى أو إشكال ، فمهما حاولت لكل إنسان قناعته و عاطفته و لإجبار لا يفيد سوى صناعة منافقين .

و هذا ملخص كل ما توصلت إليه أخي الكريم بلال .

و قد كنت معك صريحاً للغاية ،و أحببت أن أشاركك تجربتي و ما وصلت إليه، و إني أنتظر تعليقك و نقدك و رأيك في الموضوع ، فإني أرى في رأيك و في فكرك وزناً ثقيلاً .

أخوك البعيد القريب

موسى الموسى ١٦ شباط ٢٠٢٦ ريف دمشق سبينة حي لإذاعة الموافق الساعة الحادية عشر ليلاً و ثلث.